طرز العمارة الإسلامية فى ريف مصر (*)

بقـــلم

حسن عبد الوهاب

ريف مصر مصدر خيرات وثروات . وهو كذلك موطن جمال يبعث بهدوئه وصفائه الوحى والإلهام فى العالم والفنّان .

وكما هو حقول خصبة بمنتجاتها الزراعية ، فهو كذلك مراكز صناعة أمدّتنا بكلّ تالد وطريف . فلكل إقليم صناعاته الدقيقة التى ميزته عن الأقاليم الأخرى ، لاسيما فى النسيج الدقيق الذى تركّز قديماً فى بُلدان الوجهين القبلى والبحرى ، والذى طبّقت شهرته الآفاق . وخصوصاً ما كان يصنع فى الأسكندرية ودمياط وشطا وتنّيس ودقهلة وأسيوط وأخميم ودلاص والبهنسا وديبق والأشمونين ، وكل بلد امتازت بنسيج مخصوص : ما بين حرير مقصّب ، وغير مقصّب ، أو صوف دقيق .

وهو كذلك مراكز تجارة يمدّ العالم بخيراته وبمنتجاته الصناعية ، ومن بينها الطُّرف الأثرية ، فقد اشتهرت سوهاج وأصفون وإدفو وقوص وهُوّ وإسنا وأرمنت وأخميم وفرشوط والأشمونين بوجود الفخّار الملون والقاشانى والأوانى النحاسيّة بها .

ولمدينة قوص والأشمونين شهرة بالزجاج المدهون بالمينا الذى يعثر عليه فى تلالها .

أما تلال هُوّ فيستخرج منها بعض النقود الفضيّة والذهبية . وكان فى ماضى سوق تباع فيها الأشياء التى يعثر عليها فى الأشمونين .

(*) بحث ألقى بالمجمع العلمى المصرى فى جلسة ٢٨ يناير سنة ١٩٥٧

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

هذا ما يتعلق بالآثار الإسلامية ، أما الآثار الفرعونية الكامنة فى الريف المصرى وتلاله فإنها معين لا ينضب . وما زالت فخر الريف ، وخاصة فى الصعيد .

ويجد اللغوى فى ريف مصر ثروة علمية من اللهجات العربية والمصطلحات جديرة بالدراسة والتخريج والإحصاء ، وذلك بسبب انتشار القبائل العربية فى أنحائه منذ الفتح الإسلامى .

يجد الآثارى الإسلامى فى الريف المصرى ثروة تاريخية وفنية . أما التاريخية فمن النصوص القديمة ، ومن بينها المراسيم المنقوشة على الرخام ، والتى تفيد المشتغل بالشؤون المالية ، وهى ما بين فرض مكوس أو رفعها عن التجارات والصناعات جلّها مثبت على أبواب المساجد ، أو بجوار محاريبها وتلك إحدى وسائل نشر أوامر الدولة ، وقد أحصيت وصوّرت الكثير منها فى فوّة ومحلة أبى على والمنيا وديبى وفارسكور وسوهاج . وأذكر أمثلة مما جاء فيها :

١ — مرسوم مثبّت بمسجد حسن نصر الله بفوّه ، مؤرخ سنة ٨٠٣ هـ ١٤٠٠ م لإبطال مكس فوّه .

٢ — مرسوم بمسجد الشيخ عامر بديبى على الضفة الغربية لفرع رشيد ، بحرىّ أدفينا ، مؤرخ سنة ٧٧١ هـ ١٣٦٩ مَ بإبطال مكس ديبى .

٣ — مرسوم باسم الأمير سودون النظامى ، مؤرخ سنة ٨٠٢ هـ ١٣٩٩ م بابطال ضمان الهلالى والساحل بناحية محلة أبى على الغربية .

٤ — مرسوم فى مسجد الكوندكى بفارسكور ، باسم الأمير قطلوبغا البدرى سنة ٧٧٩ هـ ١٣٩٦ م برفع المكوس المقرّرة على سائر الحبوب بفارسكور .

٥ — مرسوم بالمسجد العتيق المعروف بالفرشوطى بسوهاج ، باسم السلطان الغورى بمنع من يتعرض للبزّازين والصناع والقزازين والاسكافية بناحية سوهاج .

٦ — مرسوم فى مسجد العمروى بالمنيا ، باسم الملك الظاهر أبى سعيد

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

جقمق سنة ٨٤٣ هـ ١٤٣٩ م ، بابطال المكوس المقررة على بيع الغزل والخضراوات بمنية بنى خصيب.

٧ ــ مرسوم فى مسجد اللمطى بالمنيا ، باسم الملك الظاهر أبى سعيد جقمق ، بابطال ما قرره على جهات الهالا بمنية بنى خصيب بالأعمال الأشمونية .

٨ ــ مرسوم على مسجد الدواوينى بالخانكة باسم السلطان الناصر محمد بن السلطان قايتباى بابطال ما هو مقرر بالخانقاه الناصرية السرياقوسية من جميع المظالم والمكوس على اللحم والقمح .

وكانت هناك مجموعة من العمائر عظيمة وكبيرة ، ما بين مساجد ومدارس ، ولكن ما أصابها من إهمال قضى على الكثير منها فتخرب أو تجدد . ورغم هذا فقد بقيت منها نماذج كونت طرزاً لكل إقليم . ومن تلك الطرز ما ساير طرز العمارة الإسلامية فى القاهرة إبّان ازدهارها بل وامتاز عليها ــ وقديماً قيل (يوجد فى النهر مالا يوجد فى البحر) .

وثمة ميزة أخرى لآثار الريف ، فبينما تأخرت العمارة الإسلامية فى القاهرة فى العصر العثمانىّ بسبب ترحيل الصناع الممتازين إلى استامبول ، وبسبب الحالة الاقتصادية ، ووقوع بعض التأثيرات العثمانية ؛ وخاصة على المنارة : فان تلك العوامل لم تبارح القاهرة ، وظلت العمارة فى الريف سائرة فى طريقها تمدنا بطرائفها المتأثرة بالعمائر المملوكية ، وخاصة فى القبة والمنارة والنجارة والرخام . واحتفظ الريف أيضاً بمجموعة كاملة من الحمامات لا تقل أهمية عن حمامات القاهرة فى جميع تفاصيلها ، وامتاز باحتفاظه بحمامات كاملة لا نظير لها بالقاهرة لأن جلها تخرّب .

وإذا كان الخط الكوفى المربع الذى ظهر بآثار القاهرة منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، قلّ بها منذ نهاية القرن الخامس عشر ، فانه ظل مستعملا فى الريف فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادى يكتب بالآجر المنجور الملوّن . وفى الجص ، وفى الخشب والقاشانى ، وخاصة فى مساجد الأسكندرية ورشيد وديروط بحرى ومطوبس وفوّه . ومنه طرائف لا نظير لها فى القاهرة .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

ولقد أدت مجموعة المساجد المبعثرة فى أنحاء الريف رسالتها الثقافية بجانب الأزهر وغيره من المدارس وذلك فى مساجدها الجامعة ، ثم فى مدارسها التى انتشرت فى ربوعه وخاصة فى الصعيد ، وقد كان عامراً بالمدارس ودور الحديث ، وفيها تلقىّ العلم وتخرّج صفوة من العلماء والشعراء [1] . وكذلك الاسكندرية ، فقد كانت عامرة بالمساجد والمدارس والرُّبط .

وحينما نستعرض طرز العمارة فى الريف نجدها مع مسايرتها منشآت أرقى العصور القديمة فى القاهرة إبان ازدهارها ، نهجت فى تفاصيلها نهجاً ميّزها ، وفى الوقت الذى تطورت فيه أساليب الكتابة الكوفية فى المساجد نرى منها نموذجاً وحيداً فى الطراز الخشبىّ فى مسجد أبى المعاطى بدمياط اقتصر استعماله على كتابة مصاحف القرن الرابع الهجرى .

وفى الوقت الذى ارتقت فيه النجارة فى الدولة الفاطمية لا نرى بينها ما يماثل دقّة الحفر فى حشوات منبر مسجد الصالح طلائع بقوص (سنة ٥٥٠ هـ ١١٥٥ م) والدقة والجمال فى ظهر جلسة الخطيب به ، فان لها طابعاً خاصاً انفردت به وفى الوقت نفسه ، فهو منبر فريد تنوعت زخارفه تنوّعاً غريباً .

ومثله منبر الآمر بأحكام الله الذى أمر بصنعه سنة ٥٠٠ هـ ١١٠٦ م للجامع الكائن بدير القديسة كاترين بطورسينا ، فقد تنوعت زخارف حشواته وانفرد بتقاسيمها . وعلى مثاله بقايا المنبر الفاطمى الذى كان بمسجد حسن بن صالح بالبهنسا وظهر جلسة الخطيب به . وبمنبر الجامع الكبير بقليوب جلسة خطيب فاطمية هامة .

ووجود منابر فاطمية ثلاثة بالريف ، ميزة له على القاهرة التى لم يبق بها منبر فاطمى كامل .

ومن منابر الريف النادرة منبر مسجد فرشوط ، المنقول إلى مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى ، فان صانعه يعقوب بن بركات الهوّى ، قلّد الزخارف الأندلسية فيه وكتب اسمه عليه ، وهذا ما ميزه على نجارة عصره (القرن الرابع عشر) وأيضاً فان منبر مسجد اصلباى زوجة السلطان قايتباى بالفيوم سنة ٩٠٥ هـ ـ

---

(١) أنظر الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للادفوى .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

١٤٩٩ م لا يقل روعة عن منبر مسجد زوجها بالصحراء ، فقد طعّم بحشوات السن المدقوق « بالأويمة » الدقيقة .

كما أن الزخارف الجصّية سايرت مثيلاتها فى القاهرة ممثلة فى المحراب المملوكى بجامع قوص . فانها من النوع الراقى المتأثر بالزخارف الأندلسية والذى ظهر بآثار القاهرة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى . ولا شك فى أن نماذجها كانت كثيرة فى المدارس التى كانت فى قوص وحولها . فقد كانت المدارس ودور الحديث والمساجد والرُّبُط منتشرة بها .

ولا شك فى أن جامع قوص المنشأ فى سنة ٥٥٠ هـ ١١٥٥ م كان من أجمل وأقدم مساجدها وتوالت العناية به . فقد وَجدتُ به مقصورة خشبية دقّت رؤوسها وبرامقها بالأويمة الدقيقة ، وبابها جمّع بالحشوات المسدسة المحفورة بزخارف دقيقة ، وقد عثرت فيه على كرسى للمصحف كان محوراً إلى تابوت مغطى بقماش خلق . ومع أن حشواته المسدّسة خالية من الزخرف فان قوائمه وجوانبه كتب عليها البسملة وآية الكرسى ثم ما نصه « أمر بانشاء هذا المصحف المبارك المقرّ الكريم العالى المولوى الأميرى الأجلى عز الدين خليل الملكى الناصرى أعز الله انصاره بمحمد وآله » .

وبوسط كل جنب منه رنك « هدف النّبلة » ولعل منشىء المقصورة والكرسى هو منشىء المحراب الجصّىّ فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى .

وفى هذا المسجد قبة انفردت بطرزها أضيفت إليه سنة ٥٦٧ هـ ١١٧٢ م بأمر مبارك بن كامل بن مقلد وهى تعطينا لوناً جديداً لتطور القبة، فهى مضلعة من الخارج ورقبتها مسنّنة ، وبأضلاع القبة نجمة مسدّسة مفرغة .

وأيضاً فان القبة الفاطمية فى أسوان بزت معاصرتها فى القاهرة فى طرزها وتفاصيلها وإذا كانت المنارات الفاطمية فى القاهرة قليلة فانها فى الصعيد أكثر عدداً وتنّوعاً .

وإذا كانت القاهرة امتازت بالبناء بالحجر ابتداء من الدولة الفاطمية ، فإن تعذر وجوده فى الريف جعل الآجر يأخذ مكانته فى المنشآت ، مدنية كانت

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

أو دينية ، فبلغ حدّ الكمال فى البناء والزخرف . وأكثر من هذا أن مبانى اللّبن بلغت شأواً بعيداً فى قباب أسوان الفاطمية .

لا أحاول أن أستعرض جميع مشاهداتى لآثار الريف ، فهذا حقيق بأن يفرد له مؤلّف ولكنى سأكتفى بدراسة وعرض بعض النماذج التى تميز وتوضح طُرُز الريف المختلفة ، مبتدئاً بأعالى الصعيد .

أســـوان :

فى تلك المدينة النائية انتشرت المشاهد والقباب المنسوبة لآل البيت والأولياء فى جبانتيها كما عثر فيها على مجموعة كبيرة من الشواهد ، الكوفية وهى التى عثر من بينها الآثارى المرحوم حسن الهوارى على أقدم شاهد مؤرخ سنة ٣١ هـ ٦٥١ م أودع مع غيره متحف الفن الإسلامى . وما زال موجوداً منها عدد كبير فى مشهد السبعة والسبعين وغيره ، يرجع تاريخ القليل منها إلى القرن الثالث الهجرى ، وباقيها إلى القرنين الرابع والخامس الهجرى . (العاشر والحادى عشر الميلادى) .

ومن هذه الشواهد ما يحمل أسماء أم الحسن بنت مروان مولى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد توفيت سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٦ م ، وأم ابراهيم ابنة الياس مولى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد توفيت سنة ٣٥٣ هـ ٩٦٤ م ، ومنها شاهد مكتوب عليه «اللهم ارحم امتك بنت عبدك من أوليائك وبنت فاطمة الزهراء بنت نبيك ورسولك محمد صلوات الله عليه وسلامه آمنة بنت الحسن ابن الحسن بن احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عبد الله الباهر بن الإمام السجّاد زين العابدين بن على بن الإمام السبط الشهيد الحسين ابن الإمام المرضىّ على بن أبى طالب المتوفاه سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) » .

وهناك شاهد للشريفة رقيه ابنة معلى بن على بن الحسن بن ابراهيم بن الحسن ابن الحسين بن زين العابدين المتوفاة سنة ٤٩٥ هـ ١١٠١ م .

وهذه الأسماء وغيرها هى التى جعلت العامة يطلقون على تلك القباب أسماء أهل البيت النبوى مثل الإمام الحسين ، والسيدة فاطمة الزهراء والسيدة رقيه .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

كما أطلقوا على بعضها أسماء بعض العلماء والأولياء مثل قاضى الشريعة والسيد البـدوى .

وحوت هذه المجموعة من القباب نماذج ممتازة متنوعة للقباب الفاطمية ومقرنصاتها. وعقودها اقتصرت على تلك المنطقة .

وأول ما يسترعى نظر الزائر لهذه المنطقة تلك المنارة الفاطمية بالحد القبلى الغربى لجبانة السيد البدوى ، وهى قائمة على شرف عال بداخل نقطة خفر السواحل . وهى بقايا منارة قائمة على قاعدة مربعة يعلوها بدن يكاد يكون مخروطياً لحدة شطف زواياه ، يصل إلى حطة دورتها الأولى . وقد فقد باقيها . وسلّمها مبنى بالآجر ، ويدور حول فحل مربع مبنى بالطوب أيضاً .

وبناء الآجر فيها غير منظم ، وهو خليط من الأشكال ، فأغلبه مبنى على طريقة السهل والحمل وقسمها الأوسط مبنى بطريقة الاسهال فقط . وقد كتبت بحزامها العلوى وبنفس الطوب بخط كوفى آية الكرسى . وفتح فى بدنها مستطيلات أقرب إلى المزاغل . والمرجح أنها كانت مثل منارة حنضل قبلى شلال أسوان ومعاصرة لها (منتصف القرن الخامس الهجرى) .

وفيما يلى تفاصيل عن بعض القباب المتناثرة فى الجبانتين :

قبـة المعدّاوى :

هذه القبة مهمة ، قطاعها مربع مقاس ٢,٦٥ × ٢,٦٥ م وسمك جدارها ١,١٠ م وهى مبنية بالآجر ، وطرأ عليها تغييرات كان من أثرها سـدّ عقودها الثلاثة القبلية والبحرية والغربية ، وقد أفسد البياض ثم الترميم غير المنتظم شكل عقودها . ومن الممكن إعادة جميع تفاصيلها عند إزالة البياض والأبنية المحدثة بها . ومما يلاحظ فى هذه القبة أن عقود الشبابيك والعقود الحاملة لها بارزة عن سمت الجدران .

مشهد الأولياء أو السبعة والسبعين :

هذا المشهد أهمّ أثر فى هذه المنطقة ، بل ويعتبر من نوادر المنشآت فى العمارة الفاطمية . ومن تصميمه وشكل عقوده ومقرنصاته يمكن وضعه ضمن منشآت

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

نهاية القرن الخامس ، أو مستهل السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى ، كما أن عقوده المبنية بحجر الثلاثات الكامل النحيت مثل عقود مصلّى خضراء الشريفة بالقرافة الكبرى بمصر ، وهو تصميم فريد فى نوعه فى الآثار الفاطمية ، اتفق مع الصالح طلائع فى وجود رواق خارجىّ بالواجهة الغربية ومع مشهد السيدة رقية ومشهد الجيوشى فى الايوان الشرقى المنقسم إلى أقسام ثلاثة أكبرها أوسطها ، تعلوه القبة مقرنصها من حطّتين وتبدو تفاصيل تصميمه من مسقطه الأفقى.

قبــة العتريس :

هذه القبة بنيت باللبن ، ومقرنصها وأغربتها بالآجر ، وهى قائمة على عقود مفتوحة مسننة من الخارج ، ولا يوجد بها محراب ، أما من الداخل فهى مكونة من مربع يعلوه مثمن بزواياه مقرنص من حطة واحدة ، يفصله غراب مجوف من الداخل معقود على أعلاه ، ويظهر هذا العقد من الخارج فى جوف المثمن ثم دائر القبة ، وهو ذو أضلاع ثمان بأغربة .

قبــة الشيخ محمود :

هذه القبة وحيدة فى طرزها ، فهى صغيرة الحجم ، وقائمة على قاعدة مربعة يحيط بها إفريز يعلوه مثمن به شبابيك صغيرة فوق مثمن آخر بأغربة ، فتح فى تجويفها شبابيك ما بين كبير وصغير بالتناوب .

القسم الثانى من منطقة السيد البدوى :

يقع هذا القسم بحرى قبة شهداء كريسكو ، وقبلى شرقى سيدى احمد البدوى ، ويفصلها عن المنطقة الأولى الشارع الرئيسى المؤدى إلى الخزان ، وتعرف بمدافن الأشراف .

وقد حوت هذه المنطقة مجموعة من القباب فريدة فى نوعها ، ولكن مع الأسف الشديد تهدّم الكثير منها ، ورغم تهدّمها احتفظت بالكثير من تفاصيلها ، وبينها قباب كاملة غاية فى الأهمّية ، أذكر منها :

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

قبــة قاضى الشريعة :

هذه القبة مفتوحة الجوانب الثلاثة ، وبرقبتها أغربة ، ومقرنصها من حطّة واحدة وهى كغيرها من قباب هذه المنطقة ، كسيت عقودها وعقود الشبابيك وأحزمتها بالآجرّ .

قبــة الحسين :

امتازت هى وغيرها من قباب تلك المنطقة بأن القبور بوسطها مرتفعة بنحو ٥٠ سم ، ومعقودة بالآجر ، وظهرها على شكل محراب ، ويحيط بها من الخارج سور على بعد ٩٠ سم .

قبــة ابراهيم الدسوقى :

هى مثل كامل لما تهدّم من كثير من قباب هذا القسم ، وهى مبنية باللّبن ، وعقودها الفاطمية المحكمة ملبّسة من الخارج بالآجر ، ويتوسطها قبر معقود ، ومحرابها ملبّس بالآجر ، ومقرنصها من طاقة واحدة .

قبــة السيدة رقيّــة :

هذه القبة على جانب عظيم من الأهمية ، وهى مبنية بالآجر وكانت ملبّسة العقود بالطوب ويكتنف بابها عمودان بقواعدهما وتيجانهما ما زال بهما أثر البياض .

وامتازت هذه القبة بأن رقبتها مثمّنة ، مشطوفة الزوايا ، وهى مضلعة من الداخل والخارج — ومفتوحة الجانبين القبلى والبحرى ، ومقرنصها من طاقة واحدة تجاورها طاقة مثلها ، وعلى ظهر الطاقات عمد صغيرة تحمل أضلاع القبة . وقد انفردت أيضاً بطرز شبابيك الرقبة التى تكوّن شكلا زخرفياً . ولا نظير لهذا النوع من القباب الفاطمية فى القاهرة بل هى متأثرة بالقبة التونسية .

قبــة فاطمة الزهراء :

لقد اجتمعت فيها المميّزات الموجودة فى قبة رقية ، عدا تعديلات بسيطة ،

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

ويسترعى النظر فيها شبابيك الرقبة ، فهى أقرب إلى شبابيك قبة بدر الجمالى بالقـــاهرة .

ويلاحظ فى هذه القباب سور خارجى يحيط بها ، عرضه يتراوح ما بين ١,٠ متر و ٩٠ سم من جهاتها الثلاث ، شرع فيه محراب . وكان مبعثراً فى أنحاء تلك الجبانة مجموعة من المنابر المبنية بالآجر ، والمغطاة جلسة الخطيب بها بقبة بها فتحات على هيئة نجوم .

ولوحظ أيضاً أنه بالرغم من صغر تلك القباب حيث لا يزيد حجمها عن ٣,٠ × ٣,٠ متر فان سمك جدرانها لا يقل عن ١,١٠ متر .

جبانة العنـــانى :

تقع هذه الجبانة بحرىّ المدينة ، وهى معاصرة لجبانة السبعة والسبعين ، حيث يوجد فى تربتها شواهد رخامية كوفية وأخرى من حجر رملى ترجع إلى العصر الفاطمى .

وقد حوت مجموعتين ، الأولى الغربية ، وبها أربع قباب كاملة ، منها ثلاث بنيت قاعدتها باللّبن ، وعقودها مفتوحة مكسوة بالآجر ، وامتازت على قباب الجبّـانة القبلية بوجود محاريب فيها ، أما رقابها مع القبة فقد بنيت بالطوب ، ومقرنصاتها من حطة واحدة ، كما يلاحظ أن القاعدة المربعة مفتوحة من جوانبها الثلاثة وبكل منها محرابها ، وبين زوايا المقرنص شبابيك أربعة تعلوها الرقبة المثمنة ، وبها ثمانية شبابيك ، ومن الخارج مخضرفة وبها أغربة ، وهو طرز اقتصر ظهوره أيضاً على أسوان وما دونها من بلاد الصعيد ، ولم نجده فى القاهرة إلا فى قبة أبى تراب الفاطمية التى اكتشفتها بالعباسية سنة ١٩٤٨

ومن مميزاتها إحاطة كل قبة بسور يحيط بها على بعد ١,٥٠ م على مثال القباب الست الفاطمية بالقرافة الكبرى بمصر .

أما القبة الرابعة فانها امتازت بأن مبانيها جميعها بالطوب الأحمر ، ومن طراز القباب المجاورة لها .

والقسم الشرقى من هذه القرافة يحوى ثلاث قباب وبقايا قباب أخرى ،

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

جميعها مبنى باللّبن وقد جردت من بياضها وعرفت باسم «سماسرة الخير» وهى اكثر بساطة من مثيلاتها المجاورة لها ، فبعضها خال من المقرنصات وبعضها بمقرنص من حطة واحدة . ولا شك فى أن قباب أسوان ثروة معمارية فريدة . وترجع إلى منشآت آخر القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس الهجرى . نهاية العاشر وأوائل الحادى عشر الميلادى .

منارتا بلال وحنضل اسيو قبلى شلال أسوان:

منارتا مسجدين فاطميين مع ملحقات لهما من قباب وجدران مبنية بالآجر ، غمرت قسما كبيراً منها مياه الخزان بعد تعليته ، فسقطت منارة حنضل رغم التحفظ عليها ، ونأسف لفقدها . فقد كانت كاملة ، تمثل نوعاً من المنارات الفاطمية ، وعزاؤنا فيها ذلك البحث الذى نشره عنها الزميل المرحوم حسن الهوارى ثم نشرى لصورتيهما . أما منارة بلال فما زالت قائمة رغم تغطية المياه لملحقاتها ولقاعدتها المربعة ، وهى منارة فاطمية مبنية بالآجر ، بدنها اسطوانى مكتوب عليه فى نفس الآجر بالخط الكوفى «بسم الله ما شاء الله أتم هذه المنارة عبيد بن محمد بن احمد بن سلمة طلباً لثواب الله ورحمته ورضوانه عمل حاتم البنا وولده» وترجعان إلى منشآت منتصف القرن الخامس الهجرى منتصف الحادى عشر الميلادى .

وهذا الطرز من المنارات شاع فى منارات أعالى الصعيد الفاطمية ، مع تهذيب بسيط تطور فى منارة الجامع العتيق بإسنا وهى منارة بنيت بالآجر ، أمر بانشائها بدر الجمالى فى سنة ٤٧٤ هـ ١٠٨١ م ، كما نرى طرز منارة حنضل أكثر شيوعاً مع تغييرات بسيطة نجدها ممثلة فى منارة مسجد بهجورة التى امتازت عنها بتضليع قمتها ، وفى منارتى مسجدى اصفون وأبو الحجاج بالاقصر وكلها ترجع إلى العصر الفاطمى .

أما بقية المساجد التى جددت مناراتها ، أو أنشئت فى العصر العثمانى ، فانها لم تتأثر بالمنارة الاسطوانية التركية التى شاعت بالقاهرة ، بل اقتبست طرزها من المنارات المملوكية أمثال منارات مساجد الأمير حسن باخميم سنة ١١١٦ هـ

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

١٧٠٤ م والصينى بجرجا سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٧ م — والمتولى بجرجا . وفى هذه المنارات نلحظ انسلاباً فى بدن الدورة العليا .

على أن مدينة أسيوط قد امتازت برشاقة مناراتها وارتفاعها مثل منارة مسجد عبد العاطى الشريف سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م ومنارة مسجد القرمانى سنة ١٢٦٧ هـ ومنارة مسجد المجاهدين سنة ١١٢٠ هـ ١٧٠٨ م وقد امتازت هذه على منارات القطر المصرى بأنها مكونة من أربع دورات ولا نظير لها فى ذلك. كما امتازت بوجود حمامين عرفا بثابت والدفتر دار احتفظا بتخطيطهما وبهما أراض رخامية دقيقة .

وفى المنيا نلحظ تنوعاً فى مناراتها ، فنجد منارة مسجد اللمطى المنشأ سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م مربعة وقد فقدت تفاصيلها العلوية . ولعلها كانت قِمّة مضلعة ، وهو مسجد أنشىء ، فى العصر الأيوبى حليت طبالى عمده بزخارف مورّقة جميلة ، أظنه ثالث مسجد نقشت طبالى عمده بمصر .

أما منارة العمروى بالمنيا فقد كانت قاعدتها كذلك مربعة أكملت قمتها فى عمارة سنة ١١٤٥ هـ ١٧٣٢ م برؤوس أربعة .

ومن المنارات الرشيقة منارتا على الروبى سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٧ م والواقدى سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م بالفيوم وقد امتازتا بخطوط رأسية فى بدن الدورة الثانية .

وعلى ذكر مسجد الروبى أذكر أن قبة هذا المسجد ترجع إلى تاريخ المنارة ، غريبة فى طرزها فقد اشتملت على أربع ايوانات بكل إيوان عقدان أحدهما أكبر من الآخر وعقود لأركان مخوّصة يعلو كل ركن مقرنص من ٤ حطات ، وبرقبتها شبابيك صغيرة كل اثنين متجاوران ، تكون عشرين شباكاً ، كما فتحت مناور بقطبها .

وفى هذه المدينة مسجد جميل أنشأته السيدة اصلباى زوجة السلطان قايتباى سنة ٩٠٥ هـ ١٤٩٩ م ، وهو رغم تجديده احتفظ بمنبره النادر المدقوقة حشواته بالأويمة الدقيقة كما احتفظ بمدخله الرئيسى المبنى بالحجر من أسفله ، ومن أعلاه بالآجر المنجور حول عقده المخوّص . وبه مصراعان مغشيان بالنحاس .

ومن القباب الغريبة الطرز والمبنية بالآجر قبة الشيخ زياد بمغاغة ، وقد جددها السلطان قايتباى فى أواخر القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

وكان الوجه القبلىّ حافلا بعدد وفير من المساجد الفاطمية التى جددت أو هدمت ، ومنها مسجد إخميم ، فقد كان مشتملا على عقود فاطميّة فارسية محكمة البناء ، كما كان بجداره الشرقى ثلاثة محاريب ذات عقود جصيّة مخوّصة .

ومسجد الحسن بن صالح بالبهنسا فقد تجدد وما زال به أوتار وأخشاب فاطمية منقوشة مبعثرة فى كثير من تفاصيله . وقد نجحت فى استلام بقايا منبره التى ترجع إلى أول القرن السادس الهجرى مع ظهر جلسة الخطيب ، من عمدة المدينة ، وقد كان حريصاً عليها حتّى سلمها فجزاه الله خيراً . وقد أودعت متحف الفن الاسلامى .

ويغلب على المساجد فى الصعيد تصميم المسجد الجامع ، أربعة ايوانات ، يتوسطها صحن مكشوف ، ولها عقود محكمة البناء ، الكثير منها أقرب إلى العقود الفارسية الفاطمية مثل مساجد قفط وبهجورة وهُوّ ، وإن شبابيكها تفتح فى العالى . ولم يبق أثر للمدارس التى كانت منتشرة فى الوجه القبلى ، غير أن الذى يلفت النظر هو انتشار المساجد ذات العمد الخشبية ، وهى ظاهرة اقتصرت على مساجد أعالى الصعيد رأيتها فى مساجد الأمير حسن باخميم سنة ١١١٦ هـ ١٧٠٤ م ، والصينى ١٢٠٢ هـ ١٧٨٧ م ، وسيدى جلال ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م بجرجا ، والداودية بجرجا ، والمجاهدين بأسيوط ١١٢٠ هـ ١٧٠٨ م والابعادية بالقرب من سوهاج ، وعبد العاطى بأسيوط ١٢٠٨ هـ ١٨٣٢ م . وهو تأثير قدم إليها من آسيا الصغرى حيث يوجد بها مساجد بعمد خشبية يرجع عصرها إلى دولة السلاجقة [1] .

وعلى ذكر مسجد الصينى أذكر أن جدرانه الداخلية مغشاة بمجموعة من القاشانى وكذلك محرابه ، وهى مجموعة نادرة من ترابيع القاشانى الجميلة ، ولعلّه هو ومسجد الكاشف بأسيوط هما المشتملان على القاشانى فى الوجه القبلى .

والعمد الخشبية فى هذه المساجد متخذة من كتل خشبية ، خلّق بها قواعد وتيجان وحليت زواياها بزخارف تعلوها سقوف حليت بالألوان والكتابات ،

---

(١) أنظر الكتاب التذكارى للدكتور ارنست كينيل ص ٥٩ — ٨٨

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

أجملها موجود فى مسجد الأمير حسن باخميم ، وهو مسجد حوى طرائف معمارية ما بين منبر معقلى ، وسقوف منقوشة ، ومنارة حجرية :

وفى هذا المسجد ظهر نوع من المحاريب الحجرية ذات مقرنصات مسلوبة . ولهذا المحراب شبيه فى مسجد الفقهاء بجرجا ، وقد أثر هذا الطرز المنحدر إلينا من قونية على باب مسجد الأمير عثمان الذى جدده مراد بك بجرجا سنة ١٢٠٥هـ١٧٩٠م.

وثمة ظاهرة أخرى فى مساجد الوجه القبلى هى تعدّد المحاريب فى الجدار الشرقى حيث المحراب الكبير يكتنفه محرابان ، وجدتها فى مساجد أخميم . وقوص . وسيدى جلال بجرجا وغيرها .

وامتاز البناء بالآجر فى الوجه القبلى بنماذج ميزته على البناء بالآجر فى الوجه البحرى أخصّها تلبيس زخارفه المكوّنة من آجر أحمر وأسود بأشكال زخرفية ، بحجر أبيض من نوعها . فقد استعملت فى المداخل العامة للمساجد والمنازل والمحاريب بأشكال زخرفية على هيئة نجوم أودوائرما بين حمراء وسوداء وبيضاء ، أجملها ما رأيته فى خان حسن بك الجدّاوى باسنا سنة ١٢١١ هـ ١٧٩٦ م وفى منزل بحيرى باخميم سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م ، وفى مدفن الشريف بقنا سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٣ م ، وفى الأخير اتخذت صنج العقود بالشبابيك والأبواب صنجة من آجر وأخرى من حجر ، أما حجور الشبابيك وتواشيحها فإنها مكونة من نجوم ما بين بيضاء وسوداء ، بأشكال هندسية بلغت حد الإتقان ، وما ننشره من صور هو أنموذج لكثير من أبواب المساجد والخانات والمنازل بالصعيد .

الوجه البحـــرى :

أما الوجه البحرى فقد تنوعت أيضاً طرزه وتفاصيله ، فنرى المساجد تابعت مساجد القاهرة فى التصميم ما بين مسجد جامع ومدرسة ، وكما أنّ المؤثرات العثمانية لم تغز الوجه القبلى ، فانها كذلك لم تغز الوجه البحرى . ففى الوقت الذى شاعت فيه بمصر المنارة الاسطوانية وغلبت على القبة البساطة منذ القرن السادس عشر الميلادى فإن الأمر على نقيض ذلك فى الوجه البحرى.

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

وقد تنوعت طرز المنارات والقباب تنوعاً يثير الإعجاب . كما بقيت به نماذج من المدارس التى كانت منتشرة فى ربوعه ، وفى الوجه البحرى انتشرت نماذج نادرة من القاشانى ، كما انتشر الخط الكوفى المربع .

وفيما يلى جولتى فى بلدان فرعى دمياط ورشيد[1] :

دميـــاط :

تلك المدينة العريقة فى القدم كانت حافلة بعدد وفير من المساجد والمدارس والوكايل والحمامات . ولكن عوادى الزمن قضت على الكثير منها . كما أن عوامل الرطوبة أثرت على أهم مسجد فيها وهو مسجد أبو المعاطى حرمها . وإلى نحو عشرين سنة مضت كان عدد كبير من مناراتها الرشيقة يطاول السماء فهدم ما هدم وأزيل أعالى بعضها ، فقد هدمت منارة البدرى كما هدمت إحدى منارتى المعينى وهدم أعالى منارة البحر كما أزيلت منارة أبو المعاطى .

ومسجد أبو المعاطى من أقدم المساجد . وإن التفاصيل القديمة الباقية فيه ترجع إلى القرن الرابع الهجرى . وخاصة العقود المبطّنة بالخشب كبيرة كانت أو صغيرة بالمجاز وفوق الباب . وكذلك بقايا الإفريز الخشبى بالجدارين القبلى والشرقى والمكتوب فيه آية الكرسى وآيات أخرى من سورة آل عمران بالخط الكوفى بقاعدة كتابة المصاحف فى القرنين الثالث والرابع الهجرى وهو الإفريز الوحيد من هذا النوع . كما يوجد عمود رخامى مكتوب على بدنه من أسفل بالخط الكوفى « مما أمر به محمد بن موسى الهطولى المسجد الجامع بدمياط » .

كان هذا الجامع موضع عناية على مر العصور . فقد جدّده الخليفة الآمر بأحكام الله فى سنة ٥٢١ هـ ١١٢٧ م ، ثم توالت عليها العمارات ومنها عمارة فى سنة ٧٧١ هـ ١٣٦٩ م تخلف منها لوحة تذكارية لإنشاء منبره وعليها اسم

---

[1] المهندس السيد كامل عثمان غالب الوكيل السابق لوزارة الأشغال وعضو المجلس الأعلى للآثار فضل فى تيسير دراستى لآثار هذين الفرعين . وكثيراً ما اشترك معى فى معاينة بعضها وقت أن كنت أعد مذكرات تسجيلها ضمن الآثار الإسلامية ، رحمه الله .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

الآمر بعمله الحاج شمس الدين الطرابلسى ، واسم صانعه المعلم احمد بن يوسف ، وقد أودعت هى واللوحة التذكارية لعمارة الآمر بأحكام الله متحف الفن الإسلامى .

وما زال الجامع يحتفظ بواجهاته بعد ترميمها ، وبها عقود فاطمية دقيقة ، أما داخله فقد تخرب ، وما زالت تفاصيله المشار إليها تضعه فى مصافّ أهم المساجد .

مسجد المعينى بدميـــاط

هو أهم مسجد باق بها ، أنشأه محمد بن محمد معين الدين حوالى سنة ٨٥٤ هـ ١٤٥٠ م على تصميم المدارس المتعامدة ، أربعة ايوانات حول الصحن ، وبنيت الواجهة الشرقية بالحجر ، وحلى المدخل بزخارف وكتابات ، أما العقود الداخلية فقد بنيت بالآجر غاية فى الدقة والإحكام . كما تلاحظ تلك الدقة أيضاً فى طاقية المحراب وعقد الحجرة الصغيرة خلفه مما يجعله فى مصاف أرقى أنواع البناء بالآجر .

وقد فرش صحن هذه المدرسة برخام دقيق ملون غاية فى الروعة والجمال ، وإن آثار القاهرة مع ما اشتملت عليه من ثروة فى صناعة الرخام ، لا يوجد بها مثيل لتصميم تلك الأرضية ، بالرغم من وجود أرضيات تفوقها ، وطرز القبة غريب فهو أقرب إلى القباب الفارسية ، وهى أحدث عهداً من المسجد ، وترجع إلى القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى .

وكان لهذا المسجد منارتان هدمت إحداهما وبقيت الأخرى ، وهى كذلك ترجع إلى عصر القبة ، وهى مثال لمنارات المدينة المعاصرة لها ، فهى تشتمل على دورات ثلاث تنتهى بخوذة بها كوابيل خشبية لتعليق القناديل ، وقد أحكمت مقرنصاتها ، وحلّى بدنها بقنوات رأسيّـة وحلية مسنّنة . وحلّيت الأحزمة أسفل الدورات بطوب منجور ملون ، ويسترعى النظر فى تلك المنارات المظلّة الخشبية الموجودة فى قسم من الدورة الأولى لتقى المؤذن الأمطار .

وإذا كانت منارة جامع البحر قد هدم القسم العلوى منها ومسجد البدرى

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

قد هدم مع منارته ، فان منارة المعينى ومنارة مسجد على النفيسى ١١٣٠هـ ١٧١٧م ، ومنارة المدرسة المدبولية ، تمثل طرز منارات هذه المدينة وما جاورها ، والمدرسة المدبولية كانت من إنشاء السلطان قايتباى ، ثم جددت سنة ١١٢٣هـ ١٧١١م .

وكان على باب مسجد البدرى لوحة تذكارية نصها : أنشأه الخواجه محمد والخواجه [1] ابراهيم أولاد الحاج يوسف خفاجى سنة ١١٠٦ هـ .

مسجد البحر :

من مساجد دمياط الكبيرة وهو منخفض عن مستوى ما حوله ، وقد جدد سنة ١٠٠٩ هـ ١٦٠٠ م ونلحظ فى مدخله الرئيسى جمالا فى عقده المقرنص وأرجله المخوصة وفى صناعة الآجر الملون المقتبس من صناعة الآجر بالوجه القبلى ، وفى نجارة شبابيكه الخشبية المجمّعة بأشكال هندسية دقيقة على مثال أحجبة وشبابيك مسجد الظاهر برقوق . وفى دقة نجارة الباب والخط الكوفى المربع فيه . أما محرابه والمربع فوقه فقد اتخذ من الطوب المنجور الملوّن ، وما زال فى أسقفه بقية من النقوش والكتابة المملوكية .

معالم أخرى بدمياط :

ومع قلة القباب الباقية فى دمياط فقد تنوعت طرزها . فنرى قبة مدرسة المعينى فارسيّة الطراز وكانت قبة جمال الدين شيحه مملوكية الطراز مخوصة الأضلاع من الخارج ، وهى قبة صغيرة أنشئت سنة ١١٧٠ هـ ١٧٥٦ م وقد هدمت أخيراً ، أما قبة الزاوية الرضوانية المنشأة سنة ١٠٣٩ هـ فيسود خارجها البساطة إلا أنها انفردت بتصميمها فقد أقيمت على إيوانات أربعة .

وامتازت دمياط بوجود حمامات كاملة التفاصيل ، أنشئت سنة ١١٣٠ هـ ١٧١٨ م لا تقل أهمية عن حمامات القاهرة ، وقد احتفظت بالأرضيات الرخامية الدقيقة بالخارج والداخل ، وهى فى تفاصيلها مثل حمامات القاهرة ،

---

[1] خواجه لفظ فارسى ، وهو لقب تكريم عندهم . ويطلق على المعلمين ، ثم لقب به كبار التجار منذ القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر بمصر .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

مكونة من باب أول تتوسطه فسقية . وبيت الحرارة تتوسطه فسقية ، حولها ايوانات أربعة فرشت أرضياتها بالرخام الدقيق الملوّن ، وحولها المغاطس والخلاوى ، والجميع مغطى بقباب بها قمريات الزجاج الملوّن . وتعرف بحمام النعيم .

وقد امتاز فرع دمياط بأرشق وأجمل المنارات وتنوعها ، حيث نرى تنوعاً جديداً فى منارة سيدى عاصم بمنية عاصم على البحر الصغير ، فهى ترجع إلى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ومكونة من ثلاث دورات تنتهى بخوذة على رقبة حلزونية تحملها عمد رخامية ، وبدن دورتها الثانية اسطوانى ، ومقرنصاتها دقيقة للغاية ، وأيضاً فان منارات المنزلة مثل منارات دمياط ومعاصرة لها مثل منارة الجامع الجديد كما تنوعت نقوش سطح قبابها . وعلى ذكر المنزلة أذكر أنها احتفظت ببعض منازلها القديمة على البحر الصغير مثل منزل طوبار ، ومنها منزل الشيخ عباس زين الدين ، وهو منزل كبير له أربعة وجهات كاملة النجارة يلفت النظر فيها نقش الشبابيك العلوية ، وتنتهى الوجهة بكرنيش مخضرف من الخشب والطوب الأحمر . كما وأن بالمنزل سلماً يوصل إلى حوض أسفل المنزل ، يستمد مياهه من البحر الصغير ، على مثال الدور التى كانت على الخليج ، وفى القاعات العلوية مغان ، غير أنه أقيم على فتحتها شباكان بدلا من الحجاب الخرط الكبير المستعمل فى منازل رشيد . ومثله واجهة منزل أسرة أبى العز بميت أبى غالب فقد خلت الواجهات من البارزات ، وغطيت شبابيك الدور الأرضى بالحديد ، وما فوقها بشبابيك خرط بها زخارف جميلة ، اقتصر طرزها على منازل هذه المنطقة .

فارسكور :

إذا ما اتجهنا إلى فارسكور نجد مناراتها قد اتفقت ومنارات دمياط ، غير أنها أضخم منها ، مثل منارة مسجد الحديدى المجددة سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م ، ونلحظ فى تلك المناطق محاكاة الجديد للقديم . فى الطرز المعمارية ، فقد أنشأ المرحوم محمد (باشا) العبد المقاول منارة جديدة فى فارسكور طبقاً للمنارات القديمة ، أما قباب هذا الفرع فقد أحسن تكوينها ، وأحيطت رقبتها بعدد

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

كبير من الشبابيك ، واتفقت فى الطرز وفى بساطة مظهرها ، ممثلة فى قباب مسجد الحديدى ، والأنصارى ، وقد امتازت بوجود ايوانين بداخلها وقبتى الدياسطى والحسينى ، وكلها ترجع إلى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى . ثم تنوعت أشكال القباب بشكل يثير الإعجاب فى بلدة الزعاترة حيث توجد قبة الباز الواقعة على شاطىء النيل ، وهى قبة صغيرة محكمة البناء ، جميلة المنظر ، مضلّعة من الخارج ، وفى أركانها الداخلية مقرنصات على شكل محاريب .

وفى المنزلة نرى لوناً جديداً للقبة تحاكى فيه القبة المملوكية فى زخارف سطحها ، فنرى قبة عنبر المبنية فى القرن الثانى عشر الهجرى حلى سطحها بزخارف دالية ، تبدأ بميات لبّست بقاشانى وحليت رقبتها بزخارف على هيئة كرنداز . ومثلها قبة أبو النصر المعاصرة لها والقريبة منها .

المنصـــورة :

إن عمران المنصورة جدد آثارها فلا يوجد بها سوى دار ابن لقمان التى سجن فيها لويس التاسع ملك فرنسا ، وليس فى تلك الدار ما يهم معمارياً سوى الطوب المنجور فى بابها العمومى قبل أن يحتجب تحت البياض ، وهى دار بسيطة جداً ترجع إلى مستهل القرن الثالث عشر الميلادى ، ولعلها أنشئت على جزء من دار ابن لقمان ، وأهميتها منحصرة فى تلك الذكرى المشرفة لانتصار جيش مصر على الفرنسيين وجلائهم عن البلاد بعد أسر مليكهم فهى رمز لانتصار المصريين على الفرنسيين وقهرهم .

وفى جامع الموافى المجاور لتلك الدار بقيت قبته ، وهى غاية فى الرشاقة ، من النوع المضلّع من الخارج ، ويرجع إنشاؤها إلى سنة ١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م وتعطينا لوناً جديداً من قباب تلك المنطقة .

المحـــلة الكبرى :

هذه المدينة حافلة بعدد كبير من المساجد الأثرية وفيها أغنى وأجمل مجموعة

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

من المنارات الكبيرة المتأثرة بطرز منارات المماليك البحرية . وكان بها مسجد فاطمى أنشأه الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤ م ما زالت لوحته التذكارية محفوظة بمسجد الغمرى .

ومن المساجد القديمة فى هذه المدينة مسجد الطرينى الكبير (المتولى) ، وهو من أكبر مساجدها أنشأه احمد بن على بن يوسف المحلّى المعروف بالطرينى ، المتوفى سنة ٨١٣ هـ ١٤١٠ م .

والمسجد وإن كان طرأ عليه إصلاح وتعمير كثير ، إلا أنه احتفظ بمنارته الكبيرة ، وهى ذات قاعدة مربعة ضلعها خمسة أمتار ، يعلوها مثمن ، ثم مثمن آخر ، تعلوه خوذة مضلعة ، وهى من أضخم منارات المحلة . يليها فى القدم منارة مسجد ابن كتيلة التى أنشأها محمد بن عمر بن عبد الله المحلى المعروف بابن كتيلة المتوفى سنة ٨٨٧ هـ ١٤٨٢ م ، وهى تتفق مع منارة الطرينى فى الحجم وتمتاز عليها بالرشاقة مع دقة المقرنصات . ويليها فى القدم منارة مسجد أبى العباس الحريثى المنشأة قبيل سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م أنشأها أبو العباس الحريثى المتوفى سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م وهى من طراز الطرينى ، بل هى أرشق منها . وقد تجدد المسجد وبقيت المنارة .

وفى المحلة منارة رابعة أحدث عهداً من سابقاتها ، وهى منارة مسجد عاصى التى أنشأه الحاج عبد الله عاصى سنة ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م وتقوم فوق باب المسجد ، وهى ذات طراز وحيد ، فانها وإن خالفت طرز المنارات السابقة لها لأن قاعدتها مثمنة مثل المنارات المعاصرة لها ، فان دورتها العليا اقتبست من قمّة منارة الطرينى . وهى أنموذج مبسط لمن يريد منارة رشيقة قليلة التكاليف .

أما قباب المحلة فانها مع قلتها امتازت بتضليع سطحها وتعدد حطات المقرنص المفرغ بالزخارف ، مثل قبة الأمير جاويش بالقرافة ومثلها قبة البدوى القريبة منها وكلتاهما ترجعان إلى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى . نهاية الثامن عشر الميلادى .

ولأبواب المساجد هناك طابع خاص ، فهى فى الغالب عقد مدايني مخوص به ثلاث دلّايات يفصلها جصّ مفرغ بأشكال زخرفية ، ويعلو عتب الباب

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

شباك من الخرط الدقيق تحيط به زخارف بالطوب المنجور ، وقد تخللت مبانى الطوب بالباب ميد خشبية على مثال أبنية رشيد ، نرى هذا ممثلا فى باب مسجد المغربى أمام وكالة الغورى . وهى من أكمل الوكالات بتخطيطها وطريقة بناء الآجر فيها .

وفى المحلة حمامات ثلاث : حمام حسن العرب ، وحمام جاويش ، وحمام المتولى ، وهى فى تصميمها كبقية حمامات القاهرة ، وامتازت عليها بأن الحمامين الأول والثانى كاملى التفاصيل من تخطيط وأرضيات رخامية بالمداخل وفى بيت الحرارة حول الفسقية ، وبالايوانات الأربعة حولها والخلاوى المحيطة بها ، والقباب ذات القمريات الزجاجية الملوّنة .

سمنـــود :

لقد طرأ التجديد على مساجدها ، واحتفظت بمناراتها فقط ، وهى لقربها من المحلة تأثرت بطرز مناراتها ، فنجد منارة جامع المتولى أقرب شبهاً بمنارات المحلة من قاعدة مربعة يعلوها مثمن ومثمن آخر يحمل خوذة مضلعة ، وهى دونها إتقاناً لأنها متأخرة عنها ، وترجع إلى القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميـــلادى .

أما منارتا الشيخ سلامة والعدوى فقاعدتهما مربعة ، يعلوهما مثمن يحمل الدورة الثانية تعلوها خوذة ، وهما أحدث من منارة المتولى .

حمام سمنـــود :

وإذا كانت مساجد سمنود طرأ التغيير عليها ما بين إنشاء وتجديد ، فان حمامها الشهير من أكمل الحمامات فى القاهرة والريف ، أنشئ فى سنة ١١٦٢ هـ ١٧٤٨ م ، وهو واقع على النيل له باب لطيف به شغل طوب منجور ، وقد فرشت أرضية المدخل وباب أول بالرخام الجميل ، ويتوسط باب أول فسقية حولها أربعة عمد رخامية لبعضها تاج رخامى به طيور ، وفوق العمد سقف به شغل بلدى قشر يتوسطه منور ، وبالايوان البحرى دكة المعلم . وهى

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

من خشب الخرط بدرابزينها وتعلوها قبة صغيرة ، ومكتوب عليها تاريخ سنة ١١٦٢ هـ ١٧٤٩ م :

ومن الداخل احتفظ ببيت الحرارة والفسقية وسطه والايوانات حوله بالرخام الدقيق الملوّن ، كما احتفظت القباب فوق فسقية بيت الحرارة وفى الحلاوى والمغاطس والممرات بزجاجها الملوّن .

ميت غمـــر :

فى مدينة ميت غمر نرى لوناً جديداً على الريف منقولاً من منارات القاهرة ، فنرى منارة مسجد الغمرى المنشأة سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م مزدوجة الرأس ، وقد فقدت خوذتيها وهى مقتبسة بل مطابقة للمنارات المعاصرة لها فى القاهرة قايتباى امير اخور ، ثم الغورى .

وهناك أيضاً مسجد الأمير حماد ، وهو إن كان منشأ سنة ١٠٢٤ هـ ١٦١٥ م إلا أن تصميمه تصميم مدرسة ، أربعة ايونات معقودة يتوسطها صحن احتفظ برخامه الدقيق ، وغريب أن نرى تصميم المدرسة يستمر إلى القرن الحادى عشر الهجرى فى الريف ، ومثله مدرسة محمد بن بغداد فى محلة مرحوم بالقرب من طنطا ، المنشأة فى سنة ٩٥٦ هـ ١٥٤٩ م فان تصميمها تصميم مدرسة متعامدة أربعة ايوانات حول صحن مكشوف .

الاسكنـــدرية :

كان المفروض أن نجد فى عاصمة القطر الثانية مجموعة من الآثار فقد كانت حافلة بالمساجد والمدارس [1] ودور الحديث ، ولكن المحن التى مرت بها وكثرة العمران قضى على آثارها فهدمت أو جددت ، ولكنها رغم ذلك احتفظت ببعض مساجدها المنشأة فى القرن السابع عشر الميلادى وهى ذات طابع خاص اقتصر على الاسكندرية ورشيد . منها :

---

(١) أنظر ما نشرته عن الاسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٣٧٩ – ٣٩٣ فى مجلة الكتاب عدد يناير سنة ١٩٤٧

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

مسجد چوربجى :

أنشأه الأمير عبد الباقى چوربجى فى سنة ١١٧١ هـ ١٧٥٨ م ، وهو من المساجد المعلقة مرتفع عن مستوى الشارع وتحته حوانيت وله بابان بهما شغل تقليد الطوب المنجور بالبياض : وداخل المسجد يتكون من ثمانية عمد رخامية تحمل عقوداً فوقها سقف ، وقد غشيت جميع الجدران بالقاشانى المغربى ، يتوسط الكثير من أجزائه مجاميع تمثل زهرية جميلة ، أما المحراب فقد كسى بالقاشانى ، ويكتنفه عمودان لولبيان ، وقد انتشرت به الكتابة بالخط الكوفى المربع على مقدم المنبر مطعمة بالسن وفى تجويف المحراب .

ويحيط بالمسجد من جوانبه الثلاثة القبلية والغربية والبحرية ايوانات مسقوفة ذات عقود محمولة على عمد ، وكانت المنارة قائمة أمام الرواق الغربى فوق مصليّـــة تتكىء على جدار الايوان وعلى عمودين من الرخام ، وهى ميزة انفردت بها مساجد الاسكندرية ، مثل منارة تربانة الباقية إلى الآن .

مسجد تربانه :

أنشأه الحاج ابراهيم تربانه سنة ١٠٩٧ هـ ١٦٨٥ م ، وهو أيضاً مسجد معلق تحيط به أروقة ثلاثة قبلية وبها شبابيك ، وبحرية ذات عقود مفتوحة بخواصرها نجوم ، وملحق به سبيل به شباك من نحاس مصبّع . وشغل الطوب فى الباب ملوّن ، وبه كتابة بالخط الكوفى المربع منزلة بالقاشانى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . وقد كسى جدار المحراب مع المحراب بقاشانى أوربى . وتقوم المنارة على جدار الرواق الغربى . وعلى عامودين ، وهى منارة قصيرة ، وطرز المنارات الشائع فى الاسكندرية هو طرز منارات رشيد ، نراه ممثلا فى مناراتها الكاملة ومنها منارة جامع الشيخ ابراهيم باشا سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٤ م بالاسكندرية :

وفى الاسكندرية غلب تأثير تصميم الصهاريج على بعض المساجد فجددت

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

دار الحديث التكريتية التى أنشأها عبد اللطيف بن رشيد التكرينى سنة ٦٧٨ هـ ١٢٧٩ م ، على مثال الصهاريج فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وهى أربع قباب صغيرة يحملها عامود رخامى ، ومثله مسجد عبد القادر الجيلانى المعاصر له ، والقريب منه . ورأيت مساجد مثلهما فى مدينة غزة .

وما دمنا بالاسكندرية فلا ننسى الإشادة بعظمة تحصيناتها القديمة ، ومنها باب رشيد الذى اكتشفته ، وأبراجه المنشأة فى دولة المماليك ، وبقية الباب الشاهق وما يتصل به من أبراج أيوبية فى حدائق الشلالات وطابية السلطان قايتباى المنشأة فى سنة ٨٨٤ هـ ١٤٧٩ م ، فان لها طابعاً خاصاً أخرجها من خشونة التحصينات ، فقد غلبت عليها رقّـة منشآت السلطان قايتباى ما بين زخرف فى مدخلها ، وأرضيات دقيقة فى المدخل وفى صحن المسجد الملحق بها ، وفى أرضيات الممرات فى أدوارها العلوية فقد فرشت برخام دقيق ملوّن ، وهذا ما كان يخطر لي على بال .

وعلى ذكر التحصينات فى الاسكندرية نشير إلى سلسلتها المتنوعة على ساحلها من العجمى إلى رشيد ، فقد جمعت تفاصيل هامة لأنواع التحصينات ، بينها تحصينات فرنسية قليلة أصلحت وأضيفت إليها أجزاء ، وباقيها تحصينات أنشأها الجيش المصرى باشراف مهندسين مصريين ، وهى رغم تخريب الكثير منها تعطى فكرة عن طريقة التحصينات وطرزها فى القرن التاسع عشر ، وخاصة طوابى العجمى والمكس والملاحة وأبى قير وكوسه باشى .

رشيـــد :

نترك الاسكندرية إلى رشيد لنجتلى محاسن دورهـــا ومساجدها وفى طريقنا إليها نجد مجموعة مبعثرة من طواحين الهواء المنشـــأة على الساحل ، وعلى مقربة منه فى القرن التاسع عشر ، وباق منها طاحونة كاملة بأدواتها فى ادكو . وفى ادكو انتشرت القباب المضلعة من الخارج بهندسة متقنة ، وخاصة القباب المعروفة بالعراقية . فهى ثلاث قباب إحداها منفردة ، وبابها عقده مداينى ، وتقوم على قاعدة مربعة ، مشطوفة الزوايا ، ثم رقبة بها ١٢ شباك يعلوها إفريز

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منقوش كرنداز ثم القبة ذات القنوات الضيقة ، أما القبتان الأخريان فيجمعهما بناء واحد ، يتوسطهما ايوان وهما أقل ارتفاعاً من الأولى وفيهما اختلاف بسيط ، فالقاعدة المربعة تنتهى زواياها بشطفة تعلوها رقبة مخضرفة بزوايا الخضراف فى احدهما عمد رشيقة وفى الأخرى شطف رقيق ، ثم رقبة القبة فالقبة المضلعة تضليعاً ضيقاً من الخارج . وهى نماذج قيّمة لنوع من القباب شاع فى رشيد بتضليع أوسع من ذلك .

ومدينة رشيد لها ماضى مجيد فى التجارة والصناعة ، انتشرت بها المساجد كما انتشرت بها المصانع والدور القديمة فى مختلف أحيائها ، ورحم الله الجارم الشاعر الرشيدى إذ يقول :

أرشيد مجدك فى القديم صحيفة بيضاء لا لبس ولا إبهـــام
ملأت مآذنك السماء شوامخـاً بين السحاب كأنهـــا أعلام

ولدور رشيد طراز خاص من حيث التصميم أو الزخرف أو البناء والنجارة . وامتازت بمميزات عمارية تركزت فيها وانتشرت بالاسكندرية قديماً ، كما انتشرت بالبلدان الواقعة على فرع رشيد حتى مدينة فوّه ، كما أن لها مسميات لطيفة ، فيطلقون على مدخلها الرئيسى دهليز الملك ، وهو شارع حافل بأهم الدور الأثرية على جانبيه ، كما كانوا يطلقون على جبانتها كوم الأفراح .

وكان لمصلحة الآثار فضل الاحتفاظ بكيان تلك المدينة ، وطابعها القديم ، فقد عملت جاهدة على الاحتفاظ بدورها ، بل الاحتفاظ بشوارع وحارات كاملة فاشترت كثيراً من دورها مثل شارع دهليز الملك وحارة الحاج يوسف وشارع الشيخ قنديل :

ولتلك الدور تصميم خاص ومسميات مخصوصة لأجزائها ، فيطلقون على الطابق الأرضى الشادر ، وغالبـــاً ما يكون معقوداً بعقود مخوصة ، وبابه له خوخة وغالباً ما يكون له باب خاص وهو بمثابة مخازن أو اسطبلات .

وسلّم المنزل متّصل بالباب مباشرة ودرابزينه من قائم خشبى قطعة واحدة مثل الدرابزينات الحديثة . ويطلقون على الدور الأول : الدهليز ، وهو عادة

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

أفخم جزء فى المنزل ، ويشتمل على صالة بصدرها دكة من الخرط الدقيق يحيط بها الحجرات ، ومنها ما هو مكسو بأنواع القاشانى حول الدواليب ومنها ما اشتمل على دواليب مطعّمة بالسن تعلوها المغانى يتوصل إليها وإلى غيرها من سلالم صغيرة مسحورة . كما توجد أرضيات مطعّمة بالقاشانى وبالرخام والشقف الأحمر ، ويطلقون على الجناح المخصص للنوم وهو العلوى الحضير ، وفى كثير من تلك الدور يرسم المحراب فى الحجرة الرئيسية ، إما من القاشانى أو الرخام مثل منازل محارم وفوز وعلوان والقناديلى .

وفى هذه الدور نرى الشبابيك ذات الدرف الجرارة ، والأبواب الخشبية ذات المزالج الخشبية رأسية وأفقية وأبواب الخوخة ، والعمد المتخذة من الخرط لتغطية العمد الرخامية والشبابيك الجصية ، والعقود المحكمة البناء :

على أن مدينة رشيد قد اكتسبت شهرتها من طرز البناء بالطوب الملون الذى تتخلله الميد الخشبية . حقيقة أنه لم يجتمع فى أية بلدة من بلدان القطر مجموعة قيمة من أعمال البناء بالآجر مثل ما اجتمعت فى رشيد وقد أبدع فيها المهندس كما تفنن الصانع :

وطريقة البناء هناك مداميك من آجر أحمر وأسود ، تتخلله ميد خشبية مفرّزة على أبعاد متفاوتة فى الدور الأرضى ، ثم تكحل عراميس الآجر بالجص البارز . وفى الواجهات يتجلى جمال النجارة وتنوعها ، والعقود ورشاقتها ، والبرزات اللطيفة والمشربيات . أما زخارف الآجر فهى خمسة أنواع :

أولا — تلوين الآجر فى الواجهات ، سواء أكان بالحريق وهو القديم الغالب ، أو بالألوان وهو حديث :

ثانياً — تكوين زخارف جصية ملونة على وجه الآجر محاكاة للطوب المنجور بالأبواب والمحاريب .

ثالثاً — تكوين زخارف بالألوان على وجه الطوب .

رابعاً — تكوين زخارف بقطع شقف ملون بحالة أقرب إلى تجميع الرخام الخردة ، بأشكال زخرفية وكتابات كوفية مربعة ، وهذا النوع

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

أدقها وأجملها ومنه نماذج ممتازة فى أبواب منازل عصفور وجبرى واحمد باشا الضى والامصيلى والمناديلى ومسجد عبد الوهاب بمطوبس ومحراب مسجد زغلول .

وامتاز الخط الكوفى فى رشيد بنوع ذى الفات طويلة نراه على باب قبة مسجد المحلى .

خامساً — كتابات كوفية مربّعة باحدى الطرق المستعملة فى زخرفة الآجر ومنها الكثير بالاسكندرية ، ورشيد ، ومطوبس ، وفوّه ، وديروط بحرى .

وامتازت دور رشيد بالحاق أسبلة بالكثير منها غطيت بشبابيك النحاس المصبوبة بأشكال زخرفية .

وهذه الدور ليست عريقة فى القدم ، فان أقدمها يرجع إلى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى ، أوائل الثامن عشر الميلادى ، وأحدثها يرجع إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى أوائل التاسع عشر الميلادى ، وتكاد تكون تفاصيلها متفقة متقاربة وانحصر جمالها فى ألوانها مجتمعة وهذا نلمسه فى شارع دهليز الملك ، وفيه نرى منزل رمضان ، ويرجع إنشاؤه إلى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى وله واجهة مرتفعة مكونة من أربعة أدوار محلاة بنجارة كاملة متناسبة الأوضاع ، وبها مشربيات كبيرة وصغيرة انفردت بطرزها ، يجاوره منزل محارم وتنحصر أهميته عدا واجهته فى الحجرة المطـلّة على الشارع فقد كسيت جدرانها بالقاشانى مع الرخام بأشكال زخرفية ، وبالدواليب المجمعة مع المغانى ، وهو معاصر للمنزل بجواره ومكمّل له .

وفى هذا الشارع منزل علوان ، وله بابان مثل منزل رمضان احدهما يؤدى إلى الشادر ، والثانى يؤدى إلى المنزل ، وبالحوش المتصل بالشادر عقود مبنية بالآجر الدقيق محكمة البناء ترتكز على عمد رشيقة . على أن أهم ما يسترعى النظر فيه الحجرة المشرفة على الواجهة والقاشانى الذى يكسو جدرانها والمحراب بها وتنوع الخرط فى المغانى كما وأن الأرضية أسفل المنور بالدور العلوى بها بقايا ترابيع قاشانى استعملت بدلا من الرخام .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

ومن الدور المشتملة على محراب لطيف منزل فوز بمدخل هذا الشارع ، وهو كغيره محراب غير مجوف اتخذ من الرخام ، ونقش عليه عودا سرو ، مع شمعدان وقنديل ، وكتب عليه (ادخلوها بسلام آمنين) . وتاريخ إنشاء هذا المنزل سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م .

ومن دور رشيد القديمة منزل احمد باشا الضى المنشأ سنة ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م فقد اشتمل مدخله الرئيسى على طوب منجور دقيق بتقاسيم هندسية ، وسقف الحجرة المطـّلة على الباب به زخارف ملوّنة ، ومكتوب بازاره تاريخ الإنشاء . ويوجد بحجرة الدور الثانى فوهة للصهريج ، كما توجد فوهتان أخريان بالسطح — ووجود فتحات للصهاريج فى أنحاء الدار حتى السطح فى بعض منازل رشيد ، ميزة اقتصرت على رشيد لم أشاهدها إلا فى منزل كان معروضاً للاستبدال بالقاهرة فى درب الجماميز لعل صاحبه كان رشيدياً ، ولعلها استعملت أيضاً فى الاسكندرية حيث كانت تنتشر الصهاريج القديمة .

منزل عرب كرلى :

تنحصر أهمية هذا المنزل فى موقعه وفى واجهاته المكونة من ثلاث طبقات وامتاز بسلمه البارز عن الواجهة المرتكز على عمود ضخم ، وليس به من الداخل ما يلفت النظر سوى تخطيطه والدكة الخشبية بصدر الصالة .

منزل البقروللى :

من منازل رشيد القديمة ، أنشىء سنة ١١٣١ هـ ١٧١٨ م ، وأهميته تنحصر فى واجهاته المرتفعة المحلاّة بالشبابيك والبارزات الخرطة الدقيقة . وبأسفله سبيل يحيط بشباكه إطار من الرخام المزخرف . كما وأن داخله حافل بالمغانى والدواليب ، وبه بقايا رخام دقيق . وبه دولاب لتوصيل الطعام فيما بين الدورين الأول والثانى .

ومن بابه العمومى يتوصل إلى الشادر ، وإلى الدور العلوى ، وبالدور الثانى فوهة للصهريج . ومنه ومن مسجد دومقسيس كُوّنت مجموعة هامة .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منزل المازونى :

أنشأه الحاج عبد الرحمن البواب المازونى سنة ١١٥٣ هـ ١٧٤٠ م ، وله واجهة كبيرة مرتفعة اجتمعت فيها مميزات كثيرة ، منها المقرنصات والكرادى المتخذة من الخشب أسفل الموارده ، ومبطّنه بالخشب المحلّى بالزخارف ، وبالواجهة سبيل حوله قاشانى مكتوب عليه اسم المنشىء ، وتاريخ الإنشاء ، ويلاحظ أن سلّم هذا المنزل له درابزين خشبىّ من قطعة واحدة ملفوفة مثبتة فى الجدار ، مثل أحدث النظم للدرابزينات . ويحيط بمنور الدور الثانى شقق من الخشب الخرط ، وبأرضيته مربعات من رخام وشقف أحمر وهو الشائع فى أكثر المنازل .

منزل عثمان أغا البكباشى (الأماصيلى) :

هذا المنزل من أهم منازل رشيد التى احتفظت بتفاصيلها المعمارية أنشىء سنة ١٢٢٣ هـ ١٨١٨ م ، وله واجهتان اشتملتا على ثلاثة أدوار كاملة النجارة ، وقد ارتكزت الناصية على عامود من الرخام . وحلى جانبا مدخله بكتابات كوفية وزخارف بالشقف الملوّن . وبابه الرئيسى له مزاليج خشبية رأسية وأفقية تعتبر مثالا لأبواب الدور هناك ، وملحق به شادر كبير له باب خاص ، أما الباب الرئيسى فيؤدّى إلى دركاة بصدرها باب يوصل إلى الحوش وإلى الشادر ، وقد رصت حول الحوش الأرائك الخشبية المزخرفة وبه حجرة لها سقف خشبى محلى بزخارف وصرّة غطى وجهها بحجاب خشبى كما غطيت العمد الرخامية فيها بعمد من الخشب الخرط اقتصرت على هذا المنزل . ويشتمل الدور الأول على أهم مجموعة من النجارة لا توجد فى منزل آخر برشيد ، وخاصة الحواجز الخشبية المعروفة بالمغانى وقد اشتملت على خرط دقيق وكتابات كوفية ، وزخارف منزّلة بالسن فى الخشب ، وشبابيك جرارة ، وأبواب مجمّعة بأشكال زخرفيّة . ويتصل به منزل صغير ثم طاحونة كونت تلك المجموعة منطقة أثرية .

والطاحونة كاملة تمثل الطواحين المنتشرة فى تلك البلاد بعقودها ، وبها حجران كاملان بمعدات دورانهما . وأماكن للإضاءة .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منزل المنـــاديلى :

من أهم منازل حارة الحاج يوسف ، وهو من منازل القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى ، مكوّن من أدوار ثلاثة وله بارزات محمولة على عمد ضخمة من الجرانيت ، وحول الباب زخارف بالطوب المنجور الملوّن . والدور الأول مكوّن من صالة ذات سقف معقود بصدرها دكة من الخشب الخرط . وعلى يمين هذه الصالة حجرة لها سقف قشر بلدى تتوسطه صرة . ولهذه الصالة حجرة صغيرة نقش بسقفها بالبوية دوائر كبيرة بها مراكب ، ومسجد بمنارتين ، ويلاحظ فى هذا المنزل وفى غيره من دور رشيد أن شبابيك الدور الأول رماح ومخرزات كى يطل منها الرجال ، بينما شبابيك الدور الثانى من الخرط الدقيق ، وهذا بديهىّ للنساء . كما يلاحظ فى كثير من هذه الدور أدراج مسحورة فى أرضية الدواليب ، وسلالم مسحورة تؤدى إلى نواحى مختلفة فى الدار .

بهذا القدر نكتفى من عرض نماذج منازل رشيد ، وتتولى الصور الفوتوغرافية شرح ما خفى منها ، ولنولّ وجهنا شطر المساجد هناك .

نظراً لهطول الأمطار بكثرة فى رشيد فقد عقدت سقوف كثير من مساجدها بقباب صغيرة فى مساجد زغلول والمحلى والمشيّـد بالنور وزاوية الشيخ قنديل ، أما تصميمها فهو أربعة إيوانات حول صحن مكشوف أو مغطى ، وفى مسجد الشيخ تقى سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م ، وزاوية قنديل ومسجد المشيّـد بالنور نجد نوعاً غريباً من الشبابيك أقرب إلى المزاغل ، تنتهى من أعلاها بعقد صغير من الآجر الملون ، كما وأن باب زاوية الشيخ قنديل المنشأة فى القرن العاشر الهجرى — السادس عشر الميلادى فريد فى نوعه ، فهو من الحجر أحيط عقده الخارجى بطاقات صغيرة وعقده الداخلى مسنن .

مسجد زغلول :

هذا المسجد من أكبر مساجد رشيد كان مكوناً من مسجدين كبيرين ضمّـا إلى بعضهما ، تخرب البحرى منهما . وينسب إلى زغلول مملوك السيد هارون

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

الذى كان موجوداً منذ أربعة قرون ، وبه نحو ٢٤٤ عاموداً من الرخام والجرانيت تحمل عقوداً رشيقة ، فوقها قباب صغيرة ، ومحاريبه محلاة بالآجر الملوّن ، ودكة المبلغ بها مقرنصات وزخارف ملونة ، ودرابزين خرط دقيق تنوعت أشكاله ، وعليها اسم الآمر بعملها الحاج محيي الدين بن عبد القادر واسم صانعيها « ولدا الصيرفى » . وكان للمسجد منارة حجرية هدمت نلحظ فى قاعدتها ميد رخامية . كما يوجد بجانبها مرسوم مؤرخ سنة ٩٨٥ هـ ١٥٧٧ م ، والمنارة الباقية بالمسجد هى أعلى منارة برشيد ومبنية بالآجر تقوم على قاعدة مربعة ومكونة من دورات ثلاث حلّى بدن كل من الأولى والثانية بطاقات صغيرة محمولة على عمد رشيقة . ومقرنصات الدورات الثلاث متقنـــة .

يليها فى الرشاقة والارتفاع منارة مسجد الجندى المنشأ سنة ١١٣٣ هـ ١٧٢٠ م وسقفه معقود بقباب صغيرة .

أما مسجد المشيّـد بالنور المنشأ سنة ١٧٦٤ م فان عقوده الداخلية على الطراز الفارسى محمولة على عمد من الرخام والجرانيت ، فوقها قباب صغيرة مبنية بالآجر ، والمحراب من الآجر الملوّن تعلوه قبة مرتفعة عن قباب المسجد .

جامع المحـــلى :

من المساجد الكبيرة أنشىء سنة ١١٣٤ هـ ١٧٢١ م ، وله أربعة أبواب مبنية بالآجر المنسق وتصميمه أربعة ايوانات حول صحن مكشوف . وتتوسطه قبة جدّدت سنة ١٢٦٣ هـ ١٨٤٦ م ، وهى على غاية من الأهمية ، لأن صناعة الآجر المنجور والبياض الملون المحاكى له فى بابيها بلغت شأواً بعيداً فى الرقى — وكسى أسفل بابيها بترابيع من القيشانى مع ترابيع الرخام وما فوقها وحول العقد بالآجر والبياض الملون بأشكال زخرفية : وعلى أحد الأبواب كتابة كوفية مربعة ، وعلى الباب الآخر كتب بالكوفى المربع ذو الألفات الطويلة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أما طاقية المحراب وتواشيحه فانها من طوب منجور ملوّن .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

المسجد العبـاسى :

لهذا المسجد موقع ممتاز على النيل ، أنشأه السيد محمد بك الطبوزاده سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م وواجهته مكونة من المدخل والمئذنة والقبة ، على أن الذى يسترعى النظر فيه باب القبة وما حواه من زخارف دقيقة مع مصراعى الباب المطعمين بالصدف وعليهما اسم صانعهما ، الحاج محمد البالى ، والقبة من القباب المضلعة مثل بقية قباب رشيد ـ ويلفت النظر فى المنارة أحزمة القاشانى المتنوع الألوان .

مسجد دومقسيس :

من المساجد المعلقة أنشأه صالح اغا دومقسيس سنة ١١١٦ هـ ١٧٠٤ م ، وتصميمه مثل تصميم مساجد الاسكندرية ، وتحيط به أروقة من جانبيه الغربى والبحرى وجزء من القبلى وداخله يتكون من رواقين تشقهما طرقة بمثابة رواق ثالث تنتهى من طرفيها بباب أحدهما القبلى العمومى والثانى يؤدى إلى الرواق الخارجى البحرى . وجدار المحراب مكسو بالقاشانى الكبير مع ترابيع رخام . واشتملت الترابيع الرخام على كتابات بالخط الكوفى المربع (لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ نصر من الله وفتح قريب) وبالخط النسخى بقلم خطاط بارع وبتركيب جميل (الله محمد وأسماء الخلفاء الراشدين ـ والحمد لله على نعمائه) بقلم بوسنوى الحاج عبد الله سنة ١٢٣٣ هـ وغير هذا بقلم الملاّ الخطاط .

والمحراب جميعه من القاشانى الجميل ، ترابيع كبيرة ، يجاوره منبر نجارته دقيقة .

وامتازت المنارة بوجود قاشانى مغربى فى أحزمة دوراتها .

حمـام عزوز :

وفى رشيد حمام عرف بحمام عزوز ، وهو من الحمامات الكاملة المنشأة فى القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى له تخطيط خاص ممتاز ، يتوصل إلى داخله من طرقات متعرجة مغطاة بعقود مصلبة مخوّصة ، وقد

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

احتفظ باب أول بتفاصيله ، كما احتفظ بيت الحرارة بكامل أجزائه ، حيث تعلوه قبة كبيرة بها جامات زجاجية يحيط بها أربعة ايوانات حليت حوافى عقودها وباطنها بطوب منجور زخرفى ، كما حليت زوايا القبة بدوائر زخرفية ، وبالأركان أربعة مغاطس فرشت أرضياتها وأرضية الايوانات والصحن برخام دقيق ملوّن .

أما طرز القباب فى قبة الصامت على جانبى باب رشيد ومسجد العباسى فهى من النوع المضلع مع تفاوت فى سمك التضليع بظاهرها .

وفى عزبة البرج برشيد بقايا قلعة أنشأها السلطان قايتباى سنة ٨٧٦ هـ ١٤٧١ م عرفت خطأ باسم سان جوليان . وبها عثر على حجر رشيد .

نترك رشيد إلى البلاد الواقعة على ضفتى فرع رشيد فنرى أن التفاصيل المعمارية من قباب ومنارات وشغل فى الطوب برشيد امتدت إلى تلك البلدان حتى مدينة فوّه — فنجد مسجد الحلبى بأدفينا كان مغطى بقباب صغيرة ، وباطن عقود الشبابيك به اشتمل على زخارف متنوعة مستطيلة ومستديرة ، وعلى باب القبة ألواح من القاشانى كبيرة الحجم ، لم أرها إلا فى هذا المسجد وفى مسجد عبد الوهاب بمطوبس ، كما نرى نوعاً جديداً من القباب فى ادفينا ممثلا فى قبة تاج الدين ، وقد حلى سطحها بزخارف دالية .

وفى بلدة مطوبس نرى مسجد عبد الوهاب المنشأ سنة ١١٤٩ هـ ١٧٣٦ م تجلّت فيه صناعة الطوب المنجور فى باب القبة — كما امتازت القبة بوجود ايوانين بها ، وفيه نرى المنارة عادت إلى قاعدتها المربعة وفوقها المثمن وفى الوقت نفسه نرى زميلتها فى الجامع الكبير بمطوبس تابعت منارات رشيد فى الطرز وزادت عليها زخرفاً بازدواج العمد الحاملة لطاقات دورتيهما وزخرفتهما .

وفى ديروط بحرى — المسجد الكبير لم يتخلف منه سوى منارته الرشيقة وهى شاهقة الارتفاع ، وقبة بها مقصورة خشبية بها كتابات بالكوفى المربع (يا الله — يا محمد الشفاعة — إنا فتحنا لك فتحاً مبينا) وبابها مطعم بالسن ، وعليها اسم النجار « عبد الرحمن يوسف النجار الديروطى فى سنة ١١٤٦ هـ » وعلى المنبر اسم الأمير حسن العادلى والنجار « على الديروطى وسنة ١١٠٨ هـ ١٦٩٧ م » .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

ومن المرجح أن الأمير حسن هو المنشىء للجامع ، وأن البقايا الموجودة الآن وخاصة القبة والمنارة والمنبر ترجع إلى هذا التاريخ . ثم عملت المقصورة بعد ذلك بثمان وثلاثين سنة .

فـــوّه :

هذه المدينة واقعة على النيل ، ولها ماض صناعى ، اشتهرت بصناعة النحاس ، كما اشتهرت بصناعة الجوخ والطرابيش ، وما زالت آثار مصانعهما موجودة هناك . والكثير من مساجدها كان يرجع إلى منشئات القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ، ثم جددت فى أزمان مختلفة ، واشتملت على نماذج متنوعة للقباب ووجدت بها نماذج قيمة من شغل الطوب المنجور ، ومنازلها أقرب شبهاً إلى منازل رشيد وما زال بها ربع الخطايبة ومنزل الشيخ اللقانى .

وبالرغم من أن الكثير من مساجدها تجدّد أو تسوده البساطة إلا أن ما بقى بها من تفاصيل ومنارات وقباب أكسب المدينة طابعاً خاصاً . أذكر منها :

مسجد أبى النجا :

من المساجد القديمة فقد كان موجوداً فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى وكانت له منارة شاهقة الارتفاع ، ثم جدّد المسجد سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م والمهم به الباب البحرى وباب القبة مع القبة ، وتتكون الواجهة البحرية منهما ، وباب القبة مكسو بالرخام والقاشانى يعلوه تقاسيم هندسية بالآجر الملون ومكتوب عليه بالخط الكوفى المربع (الله كافى) .

كما طعمت حشوات الباب المكون من أطباق اثنى عشرية بالسن .

وفى زيارتى للمسجد سنة ١٩٣٠ عثرت فيه على مشكاتين من الزجاج المموه بالمينا ، عليهما زخارف وآيات من القرآن يرجعان إلى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى أودعا متحف الفن الإسلامى . ومن طريف ما يذكر أنهما

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

كانا مقيدان على عهدة المسجد بمبلغ خمسمائة مليم تحت عنوان قنديلان بسلاسل !

مسجد حسن نصر الله :

من المساجد الكبيرة الهامة أنشأه الأمير حسن نصر الله المتوفى سنة ٨٤٦ هـ والمدفون بقبته بصحراء قايتباى — ثم جدده على سليمان ملتزم فوّه سنة ١١١٥ هـ ، ١٧٠٣ م وهو من الداخل يحوى مجموعة من العمد الرخامية تحمل عقوداً محكمة البناء ، وتقوم منارته فى الجهة البحرية مرتكزة على أعمدة من الجرانيت ، وقد سقط جزؤها العلوى فاكتفى باقامة خوذة فوق الدورة الأولى وهذا نراه كثيراً فى منارات هذا الفرع وفى هذه المدينة والاسكندرية ورشيد .

مسجد النمـــيرى :

أنشىء سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م وهو مع صغره اشتمل على تفاصيل معمارية هامة ما بين زخارف وكتابات فى بابيه ، على أن أهم شىء فيه قبته بطرزها وما كتب على بابها بالكوفى المربع سورة (انا أعطيناك الكوثر) : والقبة مضلعة من الخارج تضليعاً منظماً ورقبتها مخضرفة وبزوايا الخضراف عمد رشيقة .

مسجد عبد الرحيم القنائى :

أنشىء هذا المسجد أو جدد حوالى سنة ١١٣٣ هـ ١٧٢٠ م ، وله أربعة واجهات أهمها الواجهة الغربية التى تشتمل على القبة والمنارة ، وهو مسجد كبير بداخله مجموعة كبيرة من العمد الرخام بتيجانها المتنوعة وبمحرابه زخارف بالطوب المنجور . ومنارته أكبر وأكمل منارة فى فوّه — تعطينا فكرة عن المنارات التى هدمت أعاليها فهى مكونة من دورات ثلاث تنوعت مقرنصاتها ، وتحت كل مقرنص حزام من الآجر المنجور الملوّن :

وفى القبة نرى لوناً آخر من القباب فقد استعيض عن نحر الخضراف باثنى عشر شباكاً تقوم عليها القبة المضلعة وقد أحكم تكوينها .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

وأقدم قبة مؤرخة فى فوّه هى قبة تكية الخلوتية المنشأة سنة ١٠٠٠ هـ ١٥٩١ م وهى قبة رشيقة مرتفعة عن باقى القباب فى فوّه .

من هذا الوصف ومن تلك الصور التى تجلو محاسن العمارة فى ريف مصر بدّدنا الأوهام السائدة عن بداوة طرز الريف ، وأصبح لها مقام بين طرز العمارة الإسلامية .

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

طراز خشبي مكتوب بالخط الكوفى بجامع أبو المعاطى بدمياط
القرن الرابع الهجرى

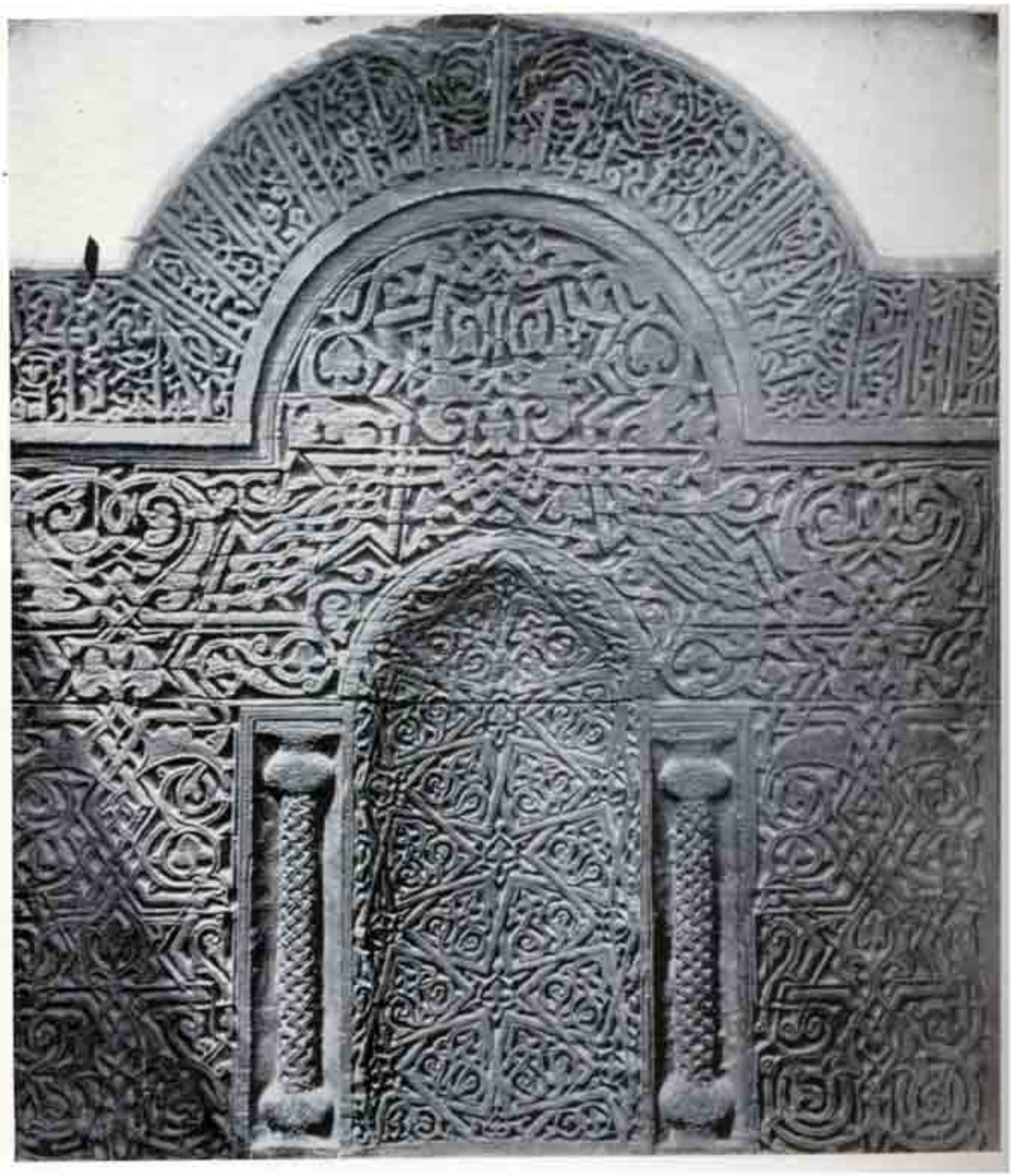

صدر جلسة الخطيب بمنبر الصالح طلائع بقوص
سنة ٥٥٠ هـ.

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

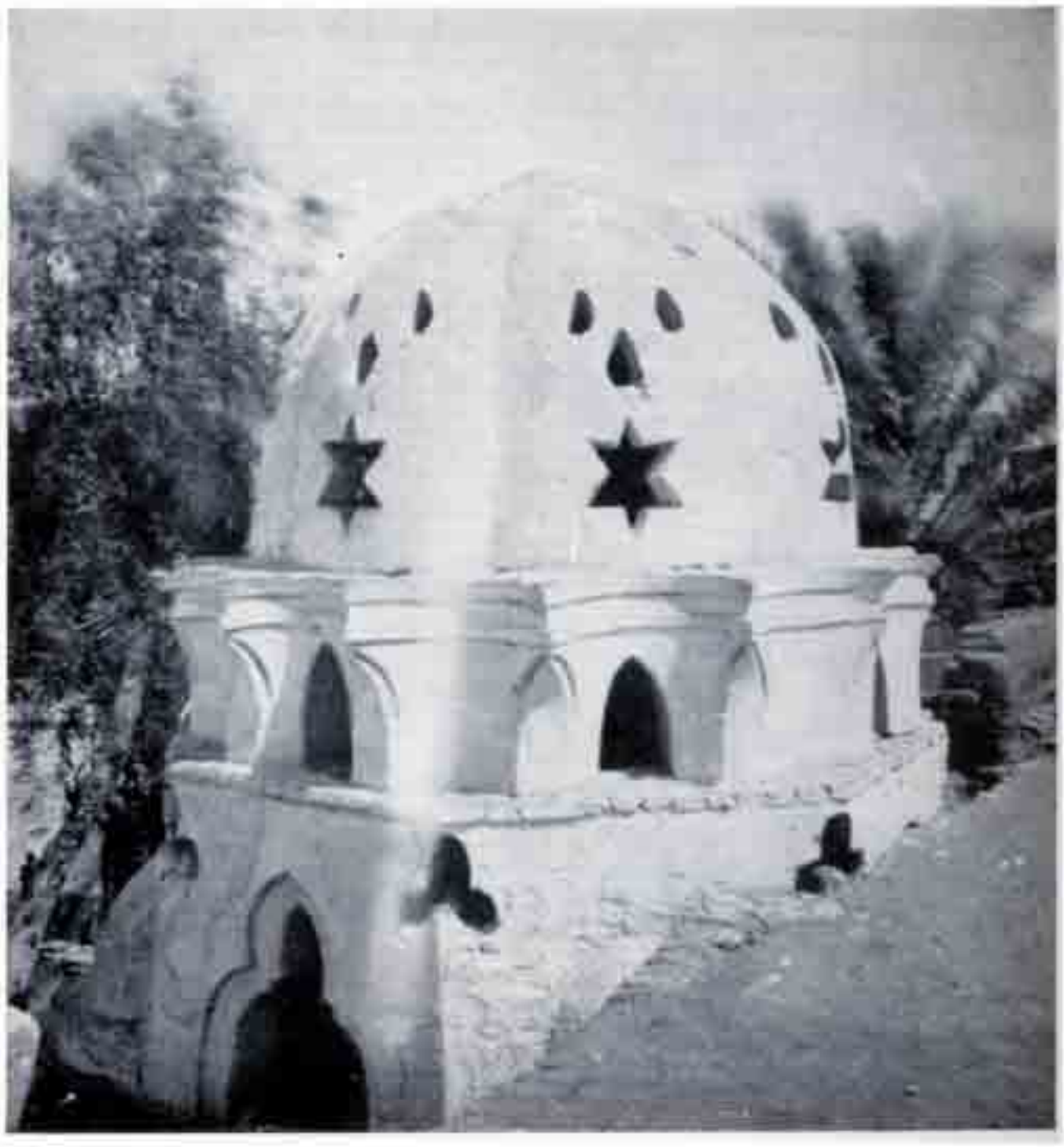

قبة مقلد بجامع قوص سنة ٥٦٨ هـ ١١٧٢

محراب من الجص بجامع قوص – نهاية القرن الثالث عشر الميلادى

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحة ٣

قبــة السيدة رقية بأسوان – القرن الرابع الهجرى

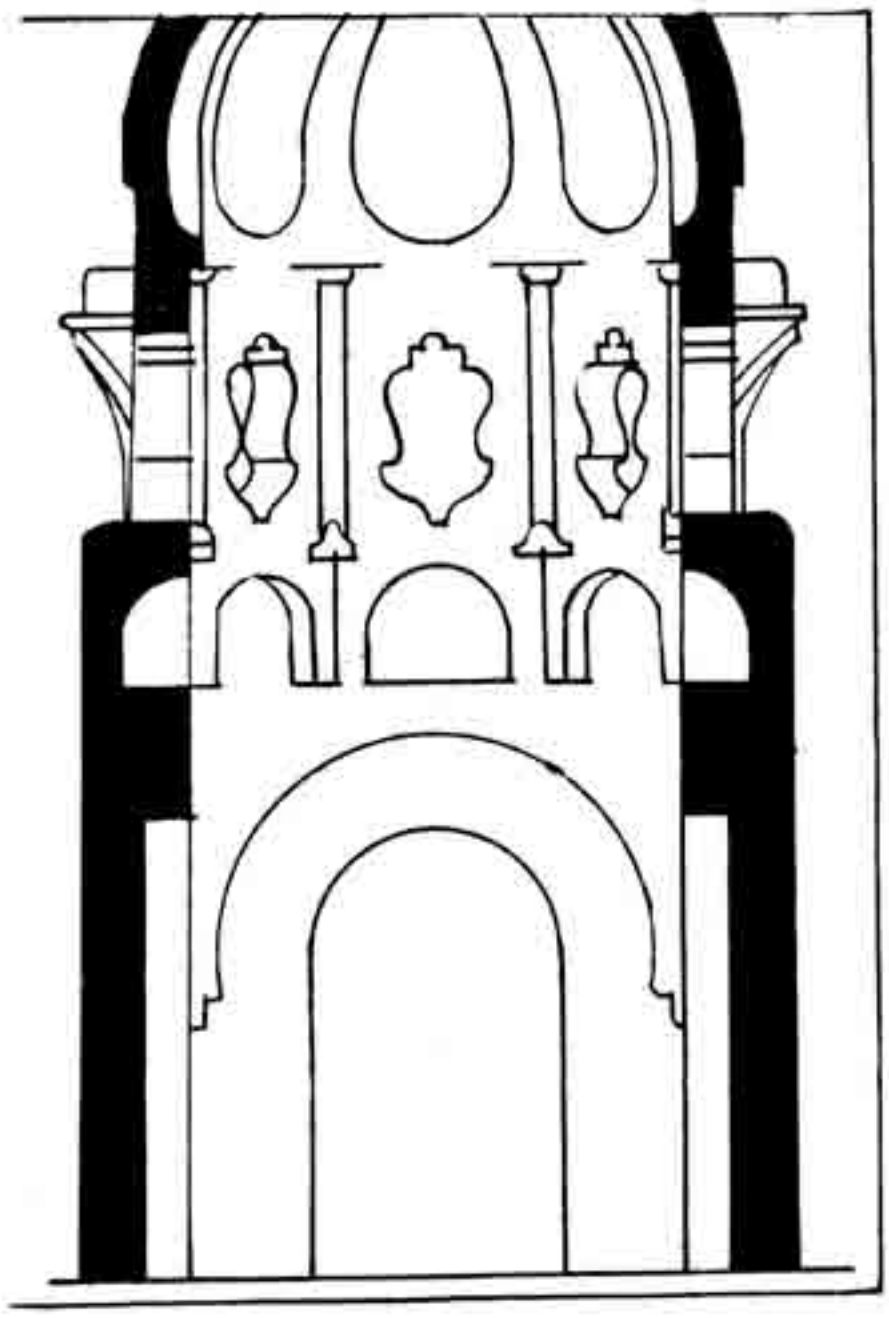

كروكى لقطاع قبة السيدة رقية

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منارة حنضل اسيو الفاطمية – قبل شلال أسوان

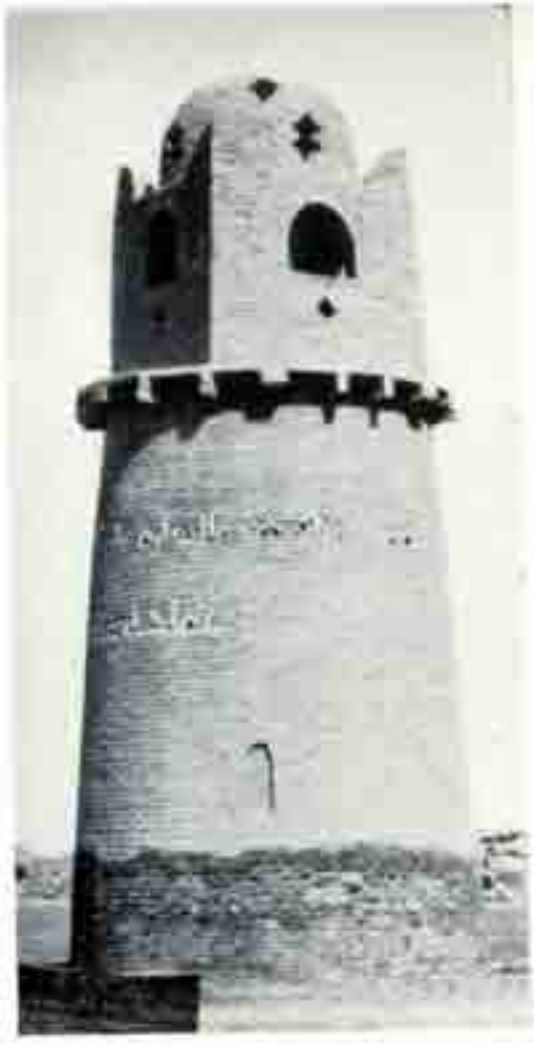

منارة بلال الفاطمية – قبل شلال أسوان

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحة ٥

منارة بدر الجمالى بالجامع العتيق بأســنا
سنة ٤٧٤ هـ ١٠٨١ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

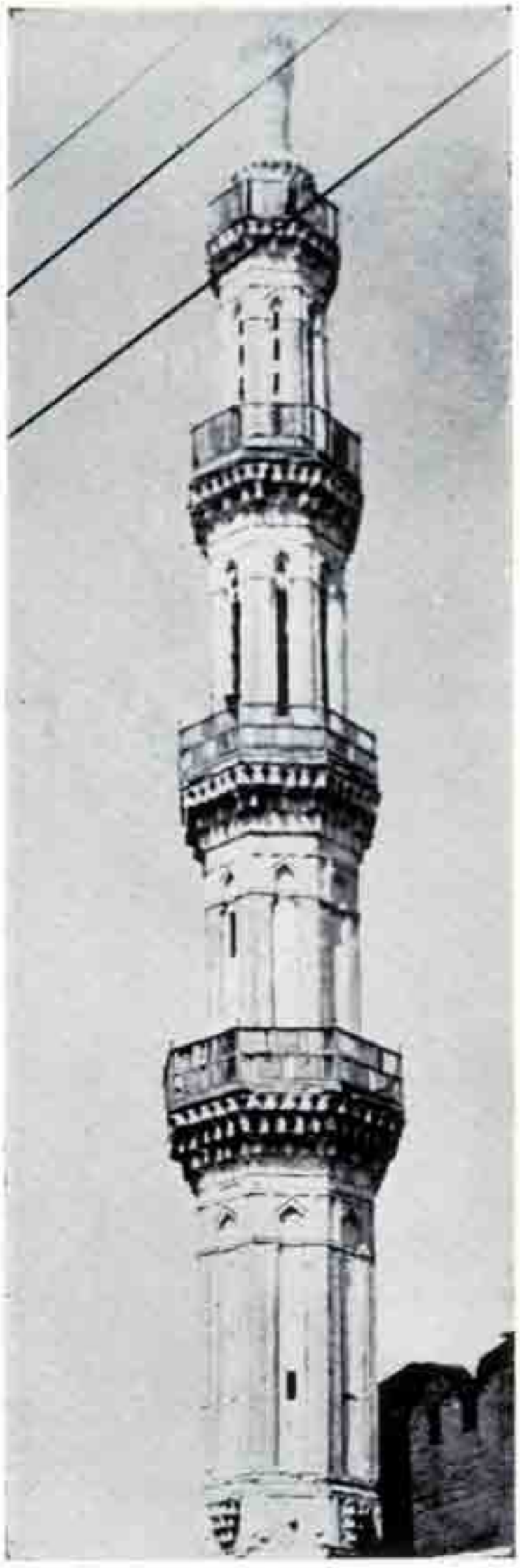

منارة مسجد المجاهدين بأسيوط
سنة ١١٢٠ هـ ١٧٠٨ م

منارة جامع بهجوره – القرن الخامس الهجري

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

داخل مسجد الأمير حسن بأخميم سنة ١١١٦ هـ ١٧٠٤ م

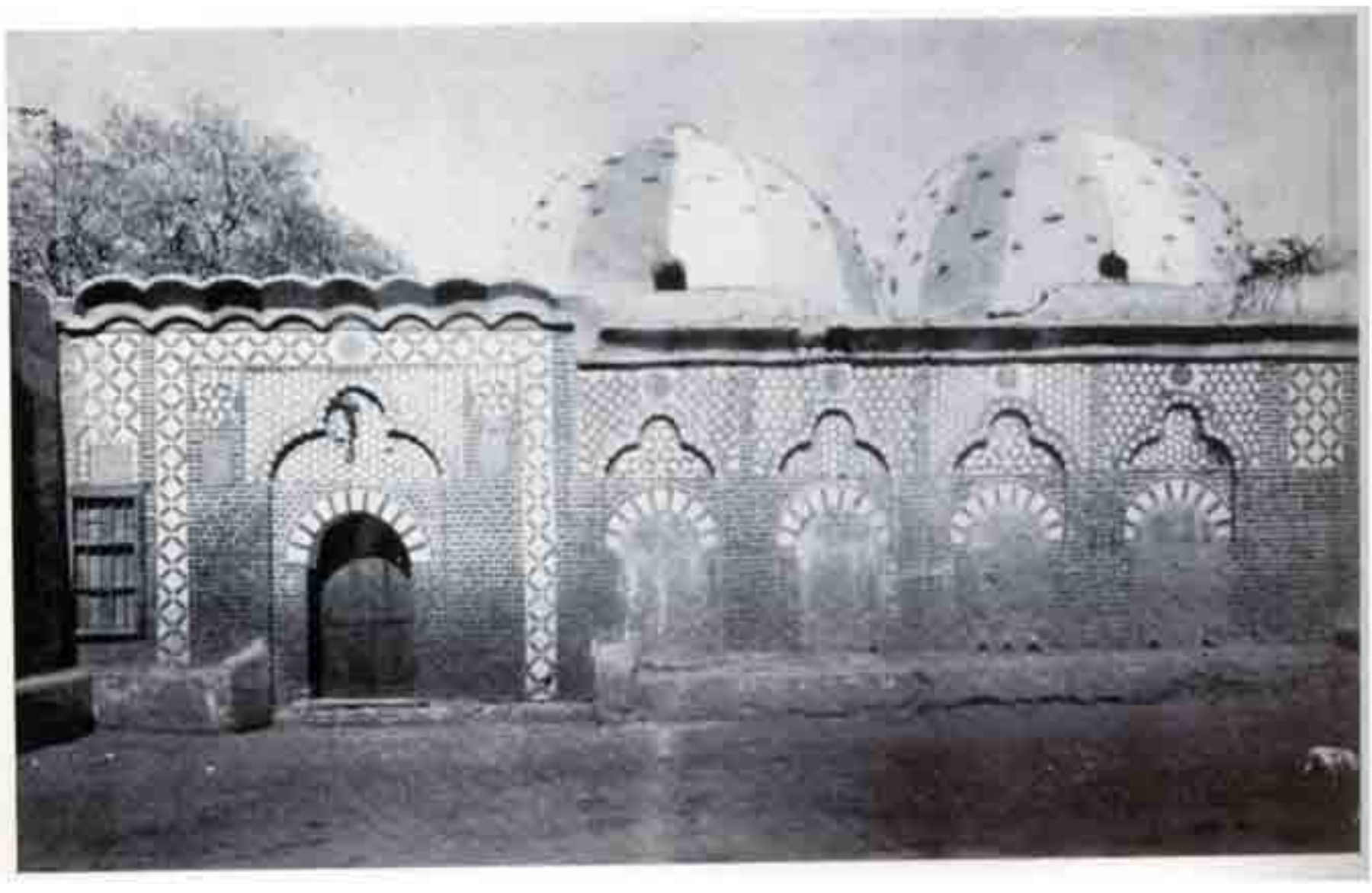

واجهة مدفن الشريف بقنا سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٣ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحة ٨

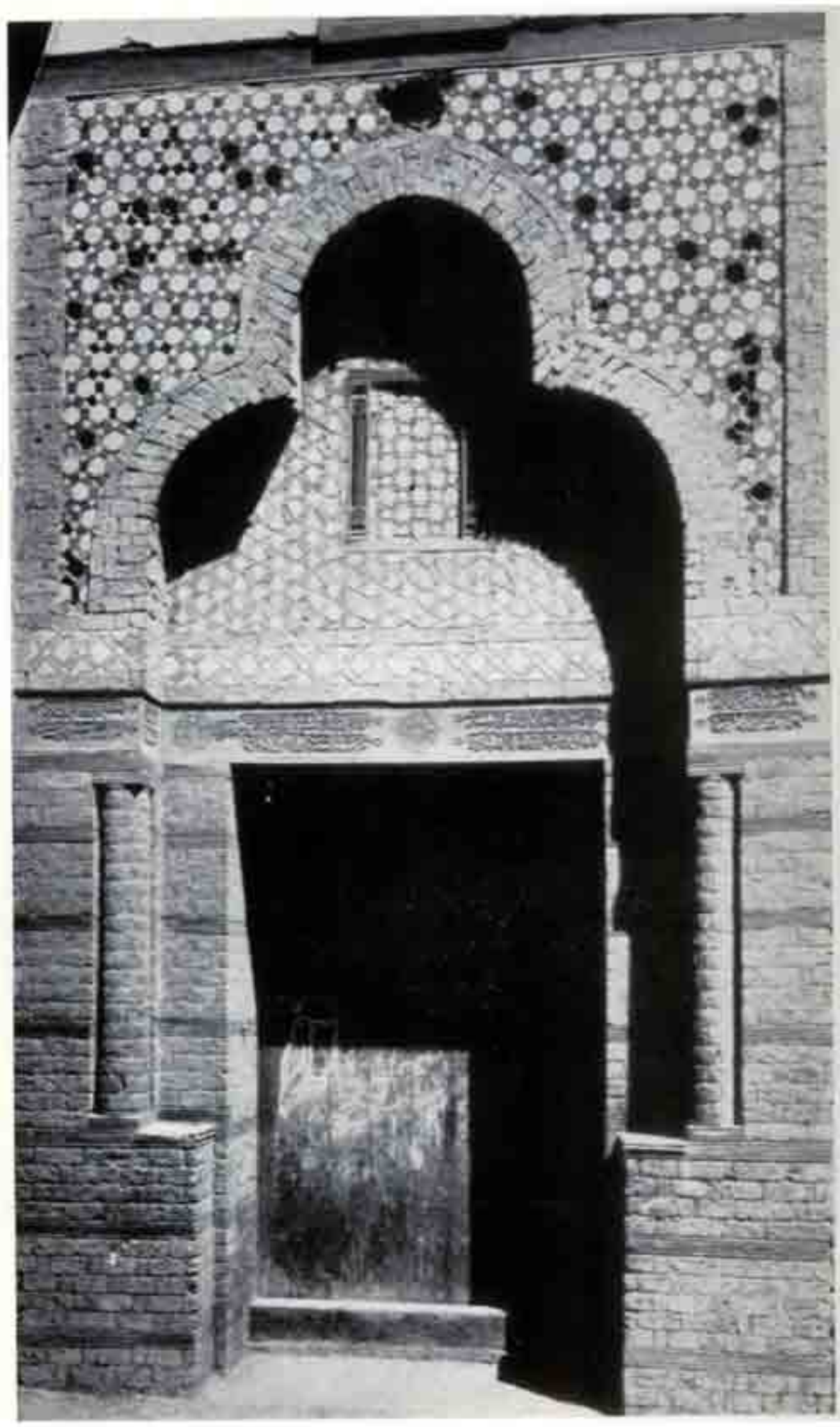

باب منزل بحيرى بأخميم
سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

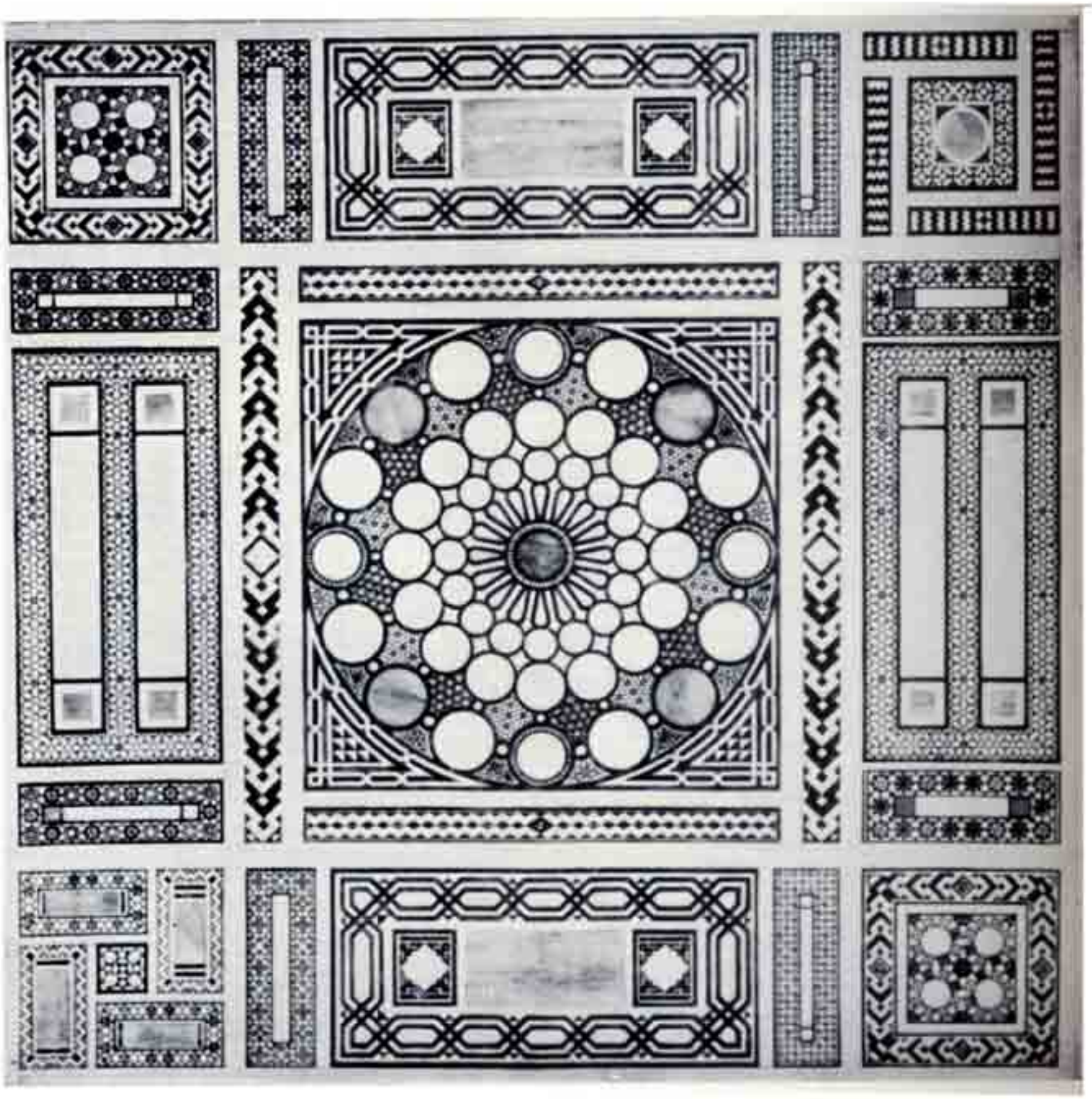

ارضية من الرخام الدقيق الملوّن بصحن مسجد المعينى بدمياط

حوالى سنة ٨٥٤ هـ ١٤٥٠ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منارة مسجد المعيق

الإيوان الغربي لمسجد المعيق بدمياط وتظهر في عقده دقة البناء بالطوب

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

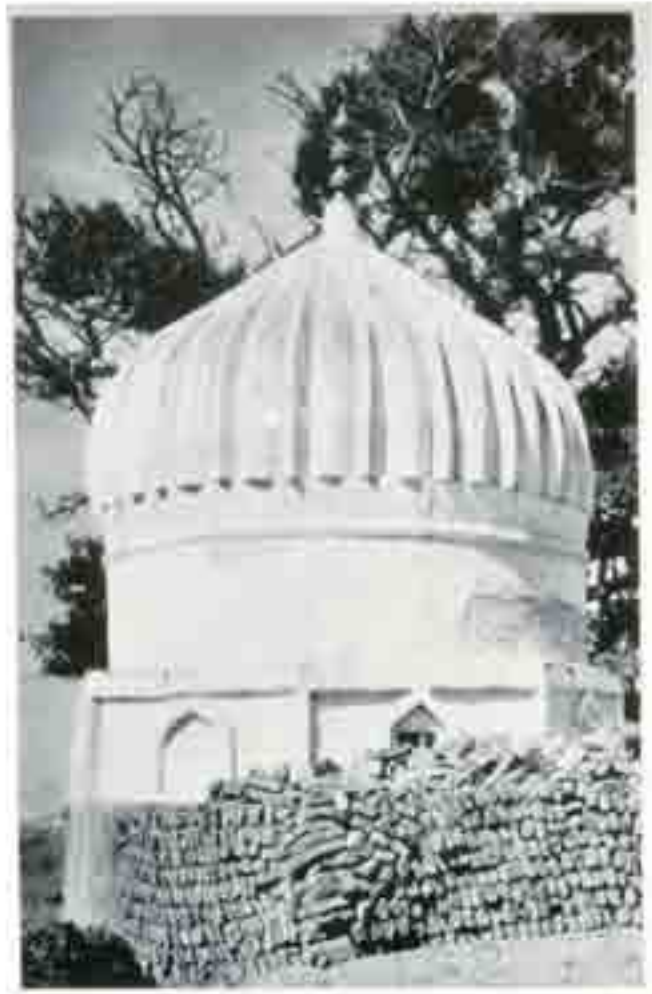

قبة الباز بكفر الباز دقهلية – القرن الثالث عشر الهجرى

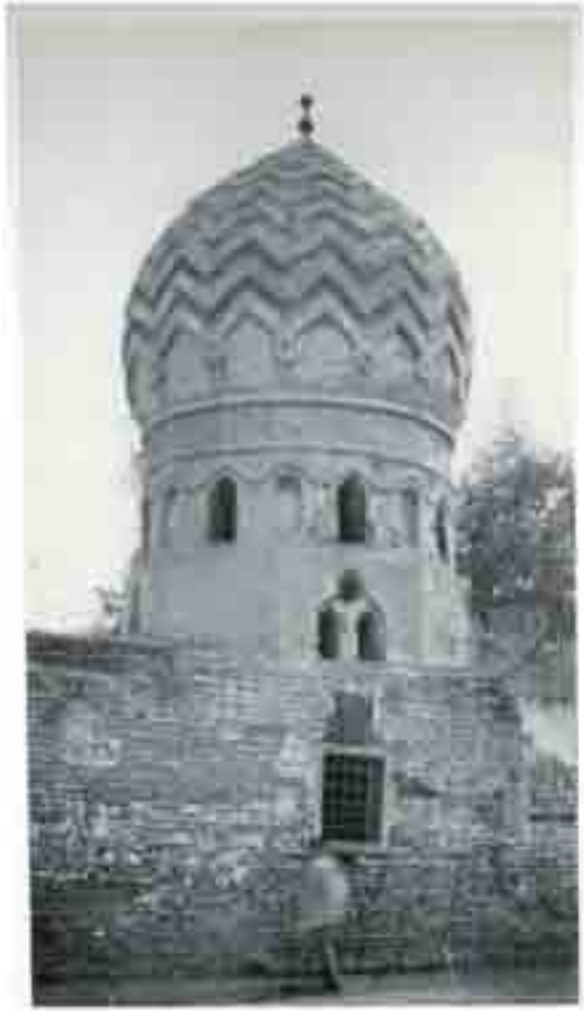

قبة عنبر بالمنزلة – القرن الثانى عشر الهجرى

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

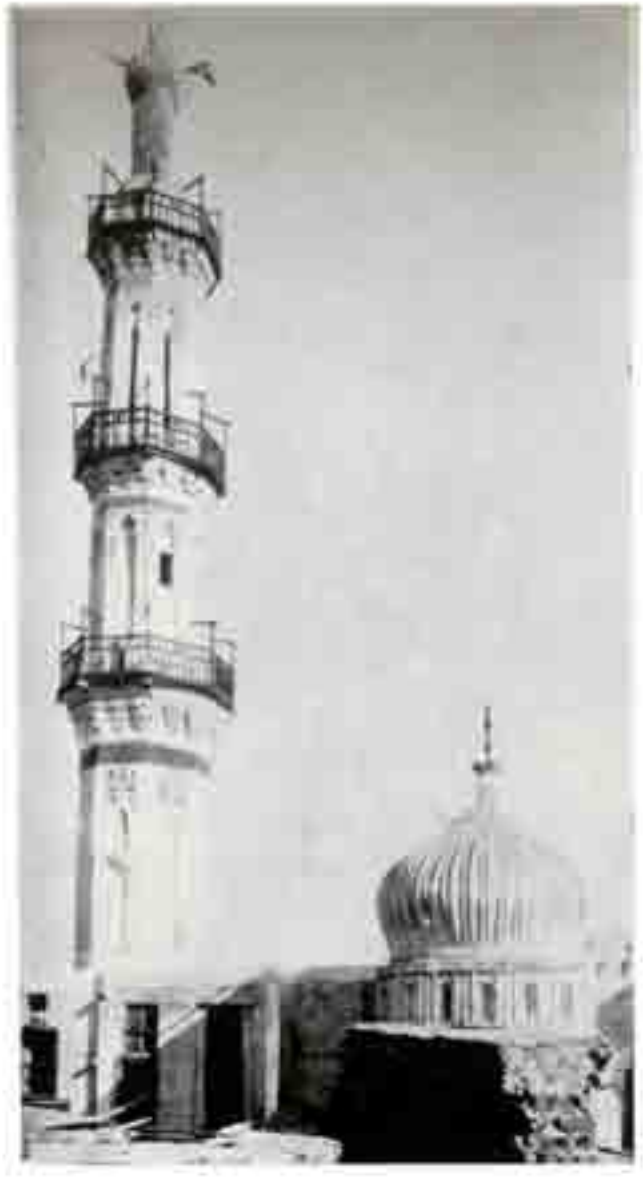

قبة ومنارة مسجد عبد الرحيم القناوي بقوه – سنة ١١٣٣ هـ ١٧٢٠ م

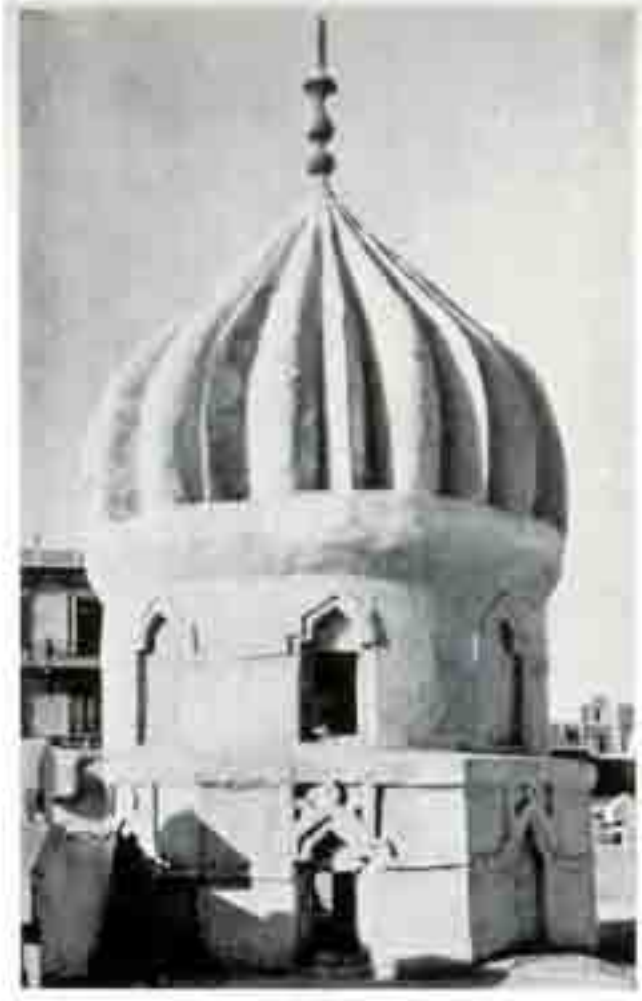

قبة الموالى بالمنصورة ١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منارة مسجد الطرينى بالمحلة الكبرى
حوالى سنة ٨١٠ هـ ١٤٠٧ م

منارة مسجد ابن كتيلة بالمحلة الكبرى
قبل سنة ٨٨٧ هـ ١٤٨٢ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

منارة الحاج عبد الله عاصى بالمحلة
سنة ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م

منارة مسجد الغمرى بميت غمر
سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

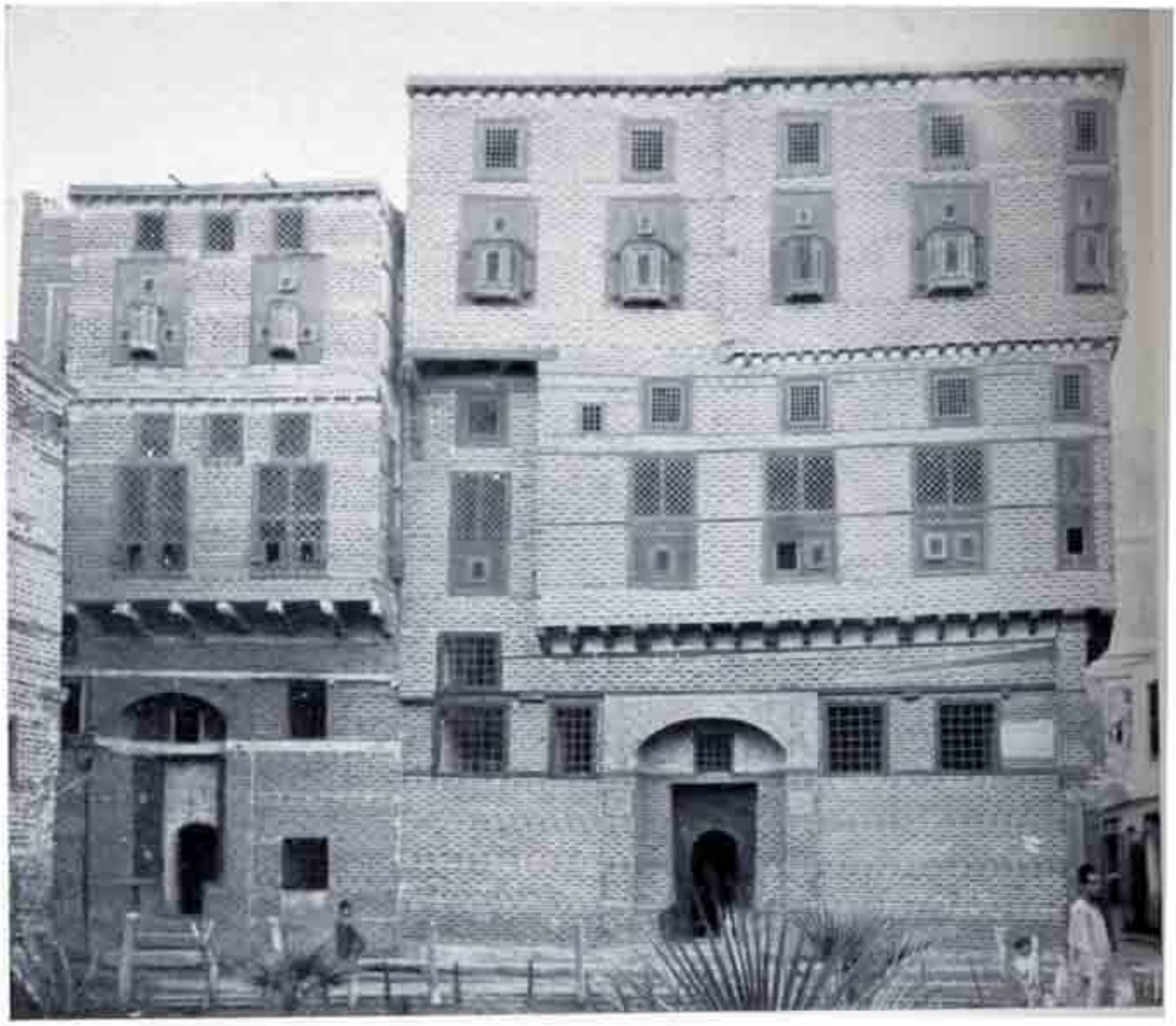

منزل الأمصيلى برشيد سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وبجواره منزل حسيبه غزاله

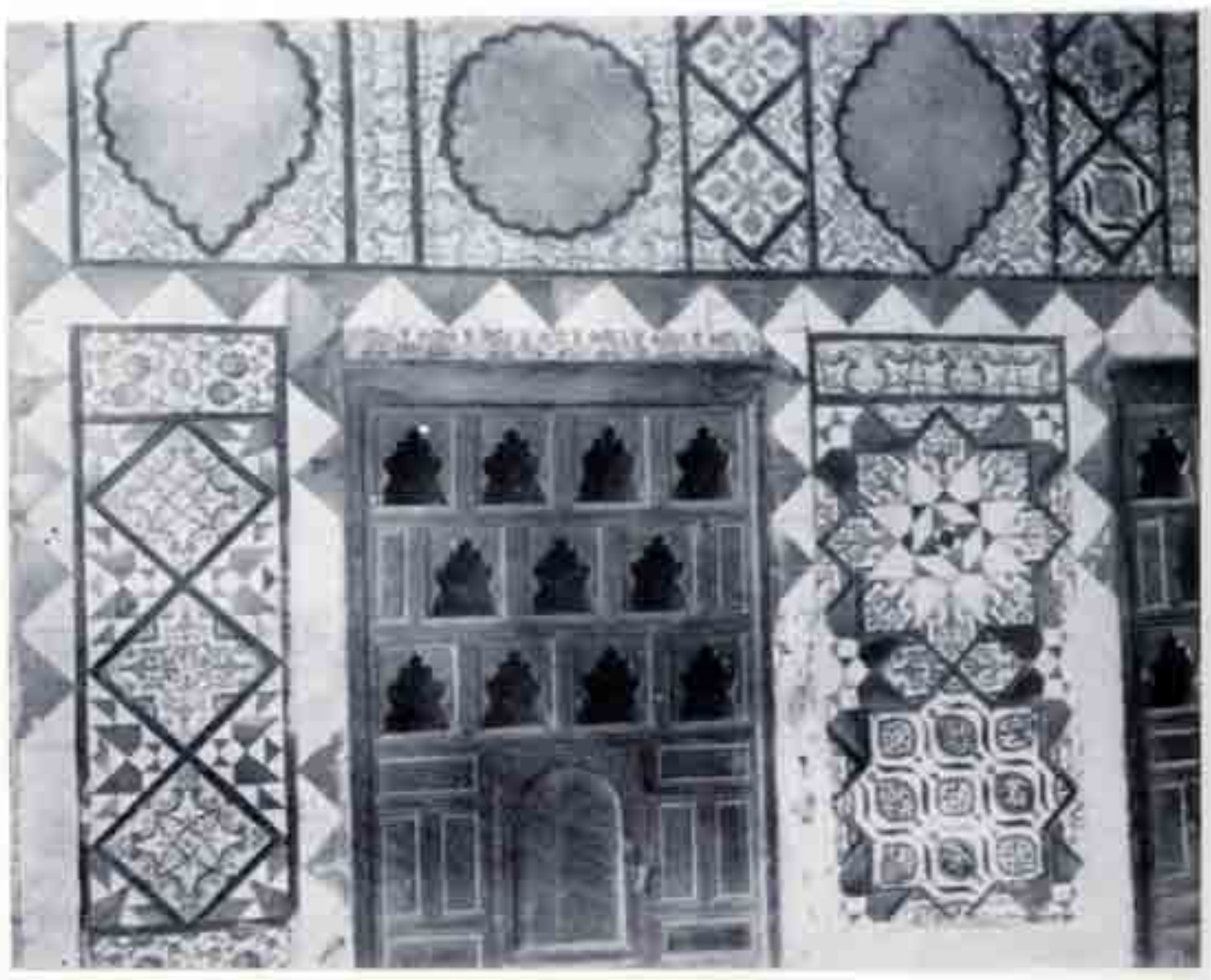

كسوة جدار فى منزل محارم برشيد – القرن الثانى عشر الهجرى

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحة ١٦

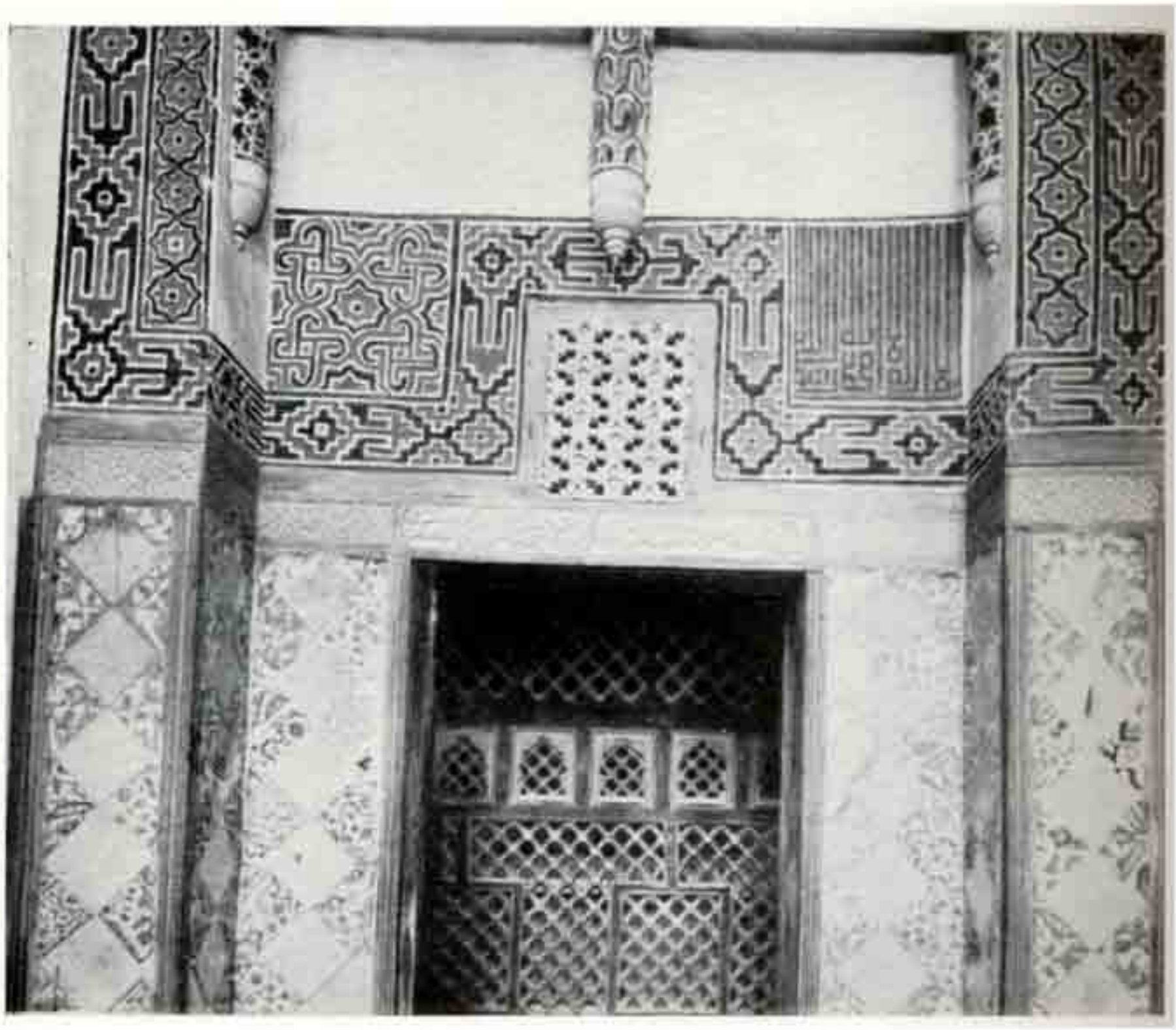

تفاصيل من شغل الطوب المنجور وزخارفه والخط الكوفى ذى الألفات الطويلة
فى مسجد المحلى برشيد سنة ١١٣٤ هـ ١٧٢١ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحة ١٧

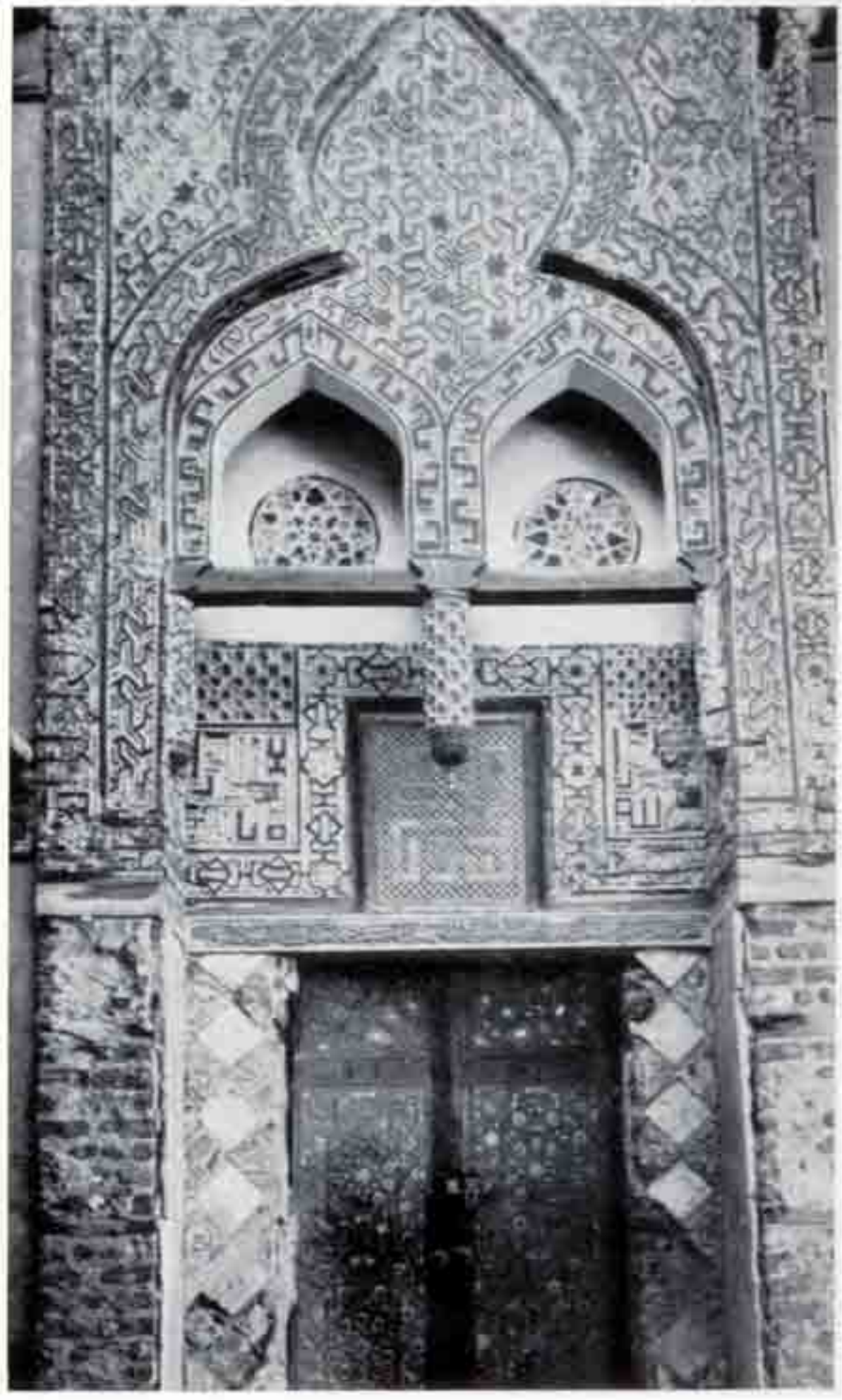

باب قبة مسجد العباسى الذى أنشأه السيد محمد بك الطبوزاده برشيد

سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م

Islamic Art Network
www.islamic-art.org

لوحـــة ١٨

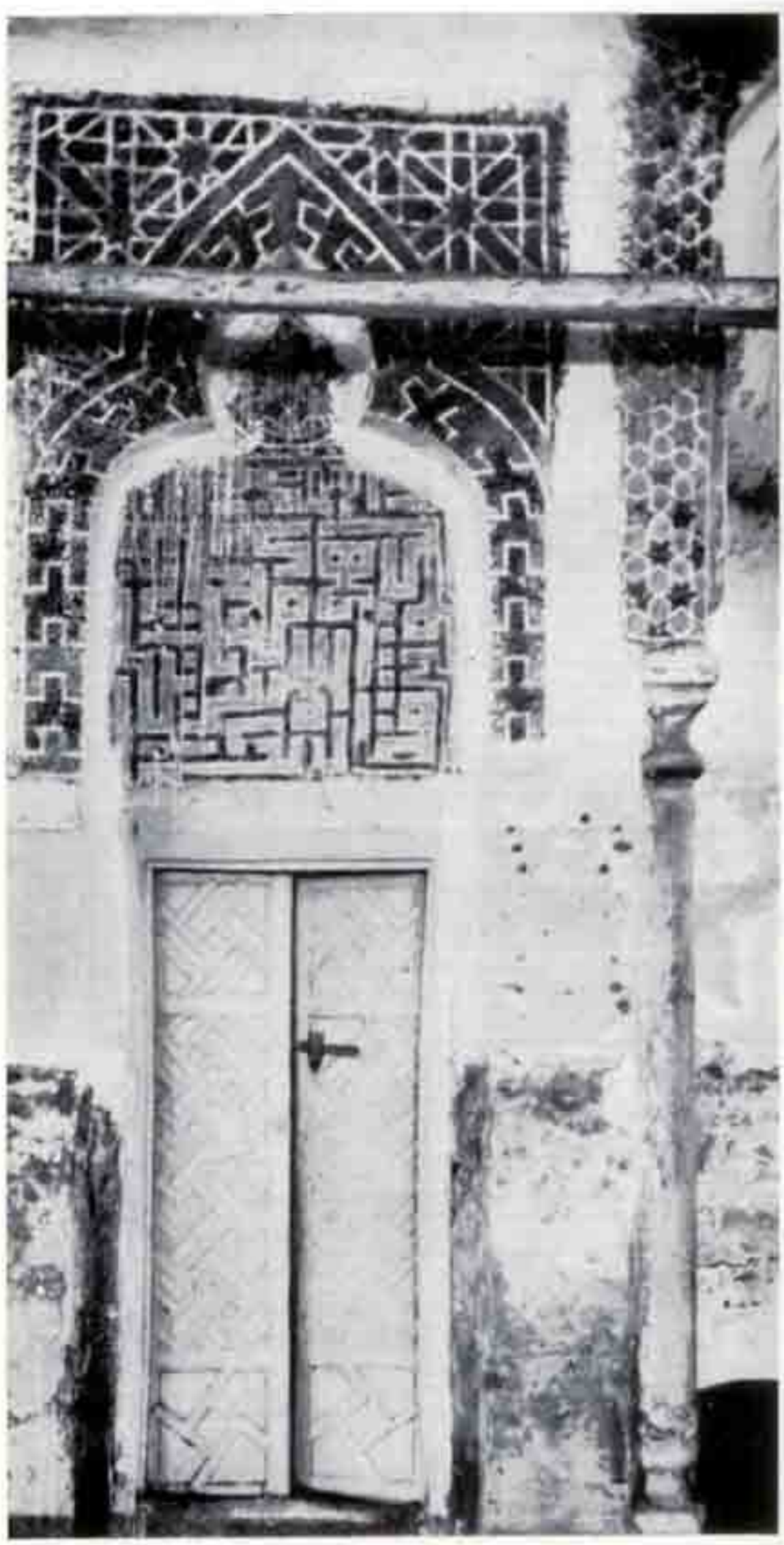

باب قبـــة مسجد النميرى بفوة ، ومكتوب فوق الباب
بالكوفى المربع سورة «إنا أعطينـــاك الكوثر» سنة ١٢٠٠ هـ

Islamic Art Network
www.islamic-art.org